



كلمة صاحب الفيطة بطريرك الماليعة المقاسلة كيريوس كيريوس شيوفيلوس الثالث ومناسبة عيد هامي الرسال بطرس وبولس في مدينة كفرناحوم

۱۹ - ۱۶ - ۱۹ م المراقع في: ۱۹ - ۱۷ - ۱۹ م ۲ غ

«هلمُّوا لنمدحَ جميعًا هامَتي الرَسولين بطرس وبولس الإلهيِّيْنِ، كوكبَي المسكونة وكارِزَي الإيمان، البوقيْنِ المتكلِّمَيْنِ بالإلهيِّات، والمُظهرَيْنِ العقائد، عمودَي الكنيسة، وداحِضي الضلالة.» هذا ما يقوله مرنم الكنيسة.

أيُّها الإخوة المحبوبون بالرَّبِّ يسوع المسيح، أيُها المسيحِيُّون والزُّوار الأتقياء.

إِنَّ نعمتَيِ الرسولَيْنِ الموقَّرَيْنِ بُطرسَ وبُولسَ قد جمعتانا اليوم في هذا الموضع والمكان المقدس الذي ورد ذكره في الإنجيل على شاطئ مدينة كفرناحوم، لكي نُعيِّد لتذكارَيْهِمَا الموقر.

إِنَّ كنيستنا المقدَّسة تُكَرِّمُ بشكلِ خاص هامَتي الرسولين بطرس وبولس وذلك لأنهما دُعِيَا من الرَّبِّ ذاته، فأمَّا صخرة الإيمان كما دعاه المسيح: «وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطُرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّحْرَةِ أَبْنِي المسيحية، وَأَبُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطُرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّحْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبُولُ لَكَ أَيْضًا لَنْ تُقُوى عَلَيْهَا.» (متى ١٧:١٦-١٨). وأمَّا الإناء المختار: «فَقَالَ الرَّبُّ «لحنانيا» اذْهَبْ! لأَنَّ «بولس» هذَا فَمَّا إِنَاءٌ مُخْتَارٌ لِيَحْمِلُ اسْمِي أَمَامَ أُمَمٍ وَمُلُوكٍ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ». (أعمال 9: في إِنَاءٌ مُخْتَارٌ لِيَحْمِلُ اسْمِي أَمَامَ أُمَمٍ وَمُلُوكٍ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ». (أعمال 9:

لقد كانت كِلْتَا هامتي الرسولين ممتَلَثَيْنِ من الرُّوح القُدُس والنعمة الإلهيَّة وكذلك بقيَّة الرُسل؛ ولكنَّ بطرس اعترف بألوهَة وبُنُوَّة يسوع إذ قال: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ «الإبن» ابْنُ اللهِ الْحَيِّ.» (متى ١٦:١٦). وبوضعه أل التعريف ل (الابن) أقرّ بأنهُ الابن الوحيد الحقيقي لله. أي ابن الله بالطبيعة كما يُفَسِّر القديس يوحنا الذهبي الفم، ويُفَسِّر القديس بيوفيلكتوس قائلًا: «لم يقل (ابن) بدون أل التعريف، بل(الابن) بِأَلَّ التعريف، بل(الابن) بِأَلَّ التعريف لانَّهُ هو الوحيد والفريد المولود من جوهر الآب.

وأمَّا الرسول بولس فلقد تَلقَّى مواهب وإعلانات خاصة من الله كما يشهد هو بنفسه قائلًا: « أَعْرِفُ إِنْسَانًا فِي الْمَسِيحِ قَبْلَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ

سَنَةً. وَأَعْرِفُ هَذَا الإِنْسَانَ: أَفِي الجُسَدِ أَمْ خَارِجَ الجُسَدِ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. اللهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ اخْتُطِفَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ، وَسَمِعَ كَلِمَاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا، وَلاَ يَسُوغُ لِإِنْسَانٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا.» (٢ كور ١٢: ٢-٤).

إِنَّ الإعلان والكرازة الصحيحة، من قِبَلِ بطرس حول إيمانه واعترافه بيسوع المسيح يُشَكِّل الصخرة التي بُنيت عليها الكنيسة التي هي ينبوع خلاص نفوسنا كما يكرز الرسول بطرس. «نَائِلِينَ غَايَةَ إِيمَانِكُمْ خَلاَصَ النَّفُوسِ. الْخَلاَصَ الَّذِي فَتَّشَ وَبَحَثَ عَنْهُ أَنْبِيَاءُ، الَّذِينَ تَنَبَّأُوا عَنِ النَّعْمَةِ النَّغْمَةِ النَّغُمَةِ النَّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيسُوعَ الْمَسِيحِ صَارًا.» (وهذا ما يؤكِّدة الأنجيليّ يوحنا: ﴿ أَمَّا النَّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيسُوعَ الْمَسِيحِ صَارًا.» (يوحنا ١٧٠١). فينبوع الخلاص ينبع من الصخرة التي هي المسيح: «وَجَمِيعَهُمْ شَرِبُوا شَرَابًا وَاحِدًا رُوحِيَّا، لأَنَّهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ صَحْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَابِعَتِهِمْ، وَالصَّحْرَةُ وَاحِدًا رُوحِيَّا، لأَنَّهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ صَحْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَابِعَتِهِمْ، وَالصَّحْرَةُ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ عَنْهُونَ مِنْ عَنْمَا وَالْعَرْقُ مَنْ مَنْ عَنْهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ عَنْهُوا فَيَالِعَتِهِمْ، وَالصَّحْرَةُ رُوحِيَّةٍ تَابِعَتِهِمْ، وَالصَّحْرَةُ لَوْءَ لَيْسَعُونَ مَنْ عَنْهُا مَا لَعْدَالْهَا عَلَيْهُا عَلَيْهُا لَعْمُولُوا يَسْرَابُوا يَشْرَابُوا عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ مَلِولَا شَرَابُوا عَلَيْهُ وَالْمَا لَيْتُهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ صَحْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَابِعَتِهِمْ، وَالصَّحْرَةُ لَوْءَ عَلَيْهِ الْمَلْوَا عَلْمَالُوا يَشْرُبُونَ مِنْ عَنْهُ مِلْوَا شَرَابُوا عَلَيْهُ الْمَالِعَةُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ الْمَالِولُونَ مِنْ الْمَالِعُوا عَلَيْهُ عَلَيْهِ الْمَالِعَةُ الْمَالِعُونَ مِنْ عَلَيْهِ الْمَالِعُ عَلَيْهِ الْمَالِعَلَيْهُ لَعْلَيْهِ الْمَالِولُولُ عَلَيْهِ الْمِلْعَالَ الْمَالَعُوا عَلْمُوا عَلْمُ الْمَالِعُوا عَلْمُ الْمَالِعُوا عَلْمُ الْمِلْعَال

وأمّا كرازة وإعلان بولس فهو: « إِنْ لَمْ تَكُنْ قِيَامَةُ أَمْوَاتٍ فَلاَ يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ أَيْضًا إِيمَانُكُمْ» (١ كور ١٥: ١٣-١٤). تشكّل هذه الكرازة حجر الأساس الذي أسَّسَ عليه آباء الكنيسة المتوشحون بالله الذين صاغوا في الأساس الذي أسَّسَ عليه آباء الكنيسة المتوشحون بالله الذين صاغوا في المجامع المسكونية مُرسِّخِينَ وَمُثَبِّتِينَ رسوليًّا ولاهوتيًّا وعقائديًّا الإيمان بالمسيح المصلوب والقائم من بين الأموات بحسب «صُورَةَ التَّعْلِيم» (رومية ٢: ١٧)، والتي هي بِدِقَّةٍ قانون التعاليم المسيحيَّة كما يقول الرسول العظيم بولس.

ومن الجدير بالذكر أنَّ البشارة والكرازة الرسوليَّة والتعليم المسيحي لكل من بولس ولا سيَّما بطرس لم تقتصر على اليهود فقط بل بالأَخص إلى الأمم أي الوثنيِّين حسب أمر ووصَّية الرَّبِّ الذي قال: «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُس.» (متى ٢٨: ١٩).

وفي هذا الصدد يعترف الرسول بولس بأنَّهُ دُعيَ من الله ليبَشِّرَ بِابنه بَيْنَ الأُمَمِ. (غلا ١٦:١)، وأيضًا لكي يُعلن للمسيحيِّين الذين من الأمم «أَيُّهَا الأُمَمُ: بِمَا أَنِيِّ أَنَا رَسُولٌ لِلأُمَمِ أُبِحِّدُ خِدْمَتِي» (رو ١١: ١٣).

حقًّا أيُّها الإخوة الأحبة لقد بَحَّدَ أي شَرَّفَ وكرَّمَ الرسول بولس خدمته للأمم كارزًا ومُبشِّرًا ومُبرهِنَا في نفس الوقت «بتأنَّس وبحسُّد كلمة الله، ابن الله ربنا يسوع المسيح أنه هو نُورُ الْعَالَم.» (يوحنا ١٢: ٢) «وهُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَيَّةُ وَالْحَيَاةُ» (يوحنا ١٤: ٦)، وهو الحرِّية «فحيْثُ رُوحُ الرَّبِّ هُنَاكَ حُرِّيَّةٌ» (٢ كور ٢٧:٣). وأيضًا: «أَنَّ حِكْمَةَ هذَا الْعَالَمَ هِيَ هَنَاكُ حُرِيَّةٌ» (١ كور ٢٠٠٣)، وأيضًا يكرز الرسول بطرس قائلًا: «لَأَنَّنَا لَمُ نَتْبَعْ خُرَافَاتٍ مُصَنَّعَةً، إِذْ عَرَّفْنَاكُمْ بِقُوَّةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَجَيِيْهِ، بَلْ قَدْ كُنَّا مُعَايِنِينَ عَظَمَتَهُ.» (٢ بطرس ١: ١٦).

لقد أصبح «الرسولان بطرس وبولس» شاهِدَيْنِ بعيوضِمَا وآذاضِمَا ومُعاينينِ لعظمته، أي عظمة بحده أي مجد الله. وهما يُشكِّلان نموذجًا للتوبة عن خطاياهم كما يؤكد بوضوح مرنم الكنيسة: « لقد منحت الخاطئين كِلَا رسولَيْك قدوةً إلى التوبة، فإنَّ الواحد ندم تائبًا بعد أن أنكرك حين آلامك، والآخر ارتدَّ مرتجعًا بعد أنْ قاوم الكرازة بك واضطهدك،

فَأَصْبَحَا كلاهما متقدمين في زمرة أصدقائك يا يسوع القدير مخلص نفوسنا.»

فنحن في هذا اليوم أيُّهَا الإخوة الأحبة، إذ نكرِّم المتقدِّمَيْنِ في كراسي الرسل، ومعلِّمَي المسكونة مدعوون لكي نقتدي بعود تهما أي توبتهما كما يحثنا القديس غريغوريوس بالاماس متوسلينَ إليهما لكي مع تضرعات سيدتنا المجيدة الفائقة القداسة العذراء مريم نحظى بخلاص نفوسنا. آمين.



الداعي لكم بحرارة بالربع البطريرك ثيوفيلوس الثالث بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

انعقد المجمع المسكوني الرابع على يد مركيانوس وزوجته بلخريا في ٨ أكتوبر سنة ١٥١ في خلقيدونية. وضمَّ هذا المجمع ٠٥٠ أُسقفًا وضَحَدَ تعاليم المونوفيزيتيَّة. القائلة: أنَّ طبيعة المسيح الإلهيَّة قد امتصَّت طبيعة المسيح الناسوتيَّة.

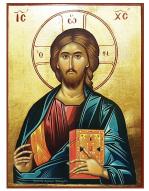
عقدت الكنيسة في عام ٥١ كم مَجْمَع خلقيدونيَّة العظيم، أحد أهم المجامع المسكونِيَّة على مَرِّ العصور، بمدف محاربة بدَع كثيرة، كان أهمّها بدعة تُدعى Monophysite هذا المُصطلح مُركَّب من بادئة وجذر. البادئة هي mono، وتعني «واحد»، والجذر هو phusis، وترجمته «طبيعة».

لذا فإنّ مُصطلح monophusis أو monophysite يعني ببساطة «طبيعة واحدة».

إِدَّعى أصحاب بدعة الطبيعة الواحدة أنَّ يسوع لم يكن له طبيعتان، طبيعة إلهيَّة وطبيعة بشريَّة، إثَّاكان له طبيعة واحدة لا غير. لم تكن تلك الطبيعة الواحدة إلهيَّة بالكامل، ولم تكن بشريَّة بالكامل، بل كانت بحسب طريقة النظر إليها، طبيعة بشريَّة مؤلَّة، أو طبيعة إلهيَّة مؤنَّسة. كانت هذه البدعة بغاية الخطورة لسببَيْن، فقد أنكرت من جهة ألوهِيَّة المسيح الكاملة، وأنكرت من جهة أخرى إنسانيَّة يسوع الحقة. لذلك أعلن مجمع خلقيدونيَّة ردًّا عليها: بأنّ المسيح هو: إله كامل لذلك أعلن مجمع خلقيدونيَّة ردًّا عليها: بأنّ المسيح هو: إله كامل وإنسان كامل، له طبيعتان في أقنوم واحد. (المسيح الإله – الإنسان).

كيف يُمكننا فهم اتّحاد الطبيعة البشريَّة مع الطبيعة الإلهيّة؟ يقول الكتاب المقدَّس: إنّه في التجسّد، أخذ الأقنوم الثاني من الثالوث طبيعةً بشريَّة، ولكن، عندما أخذ جسدًا، أي طبيعةً بشريَّة، لم يؤلِّه تلك الطبيعة البشريَّة، بل بقيت الطبيعة البشريَّة بشريَّة.

في معالجتِه مسألةَ سرِّ التحسُّد وتأكيده على طبيعيَّ يسوع، قال بَحْمَع خلقيدونِيَّة إنَّ الطبيعتَيْن متَّحدتان بالكامل بحيث لا يُمكن مزحهما أو

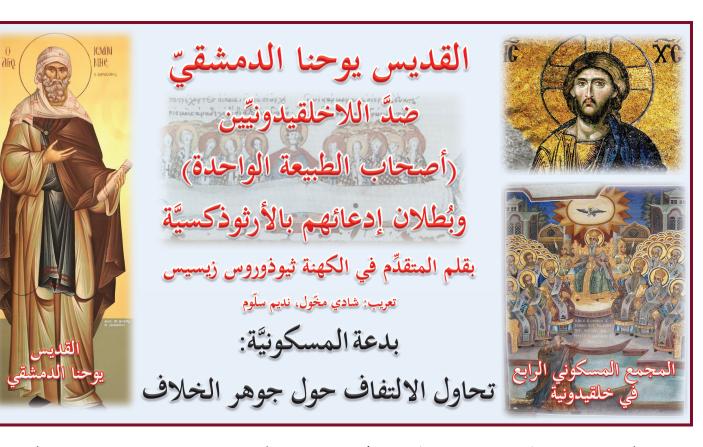


تقسيمهما أو فصلهما. لا يُمكننا أنْ غزجهما ببعضهما كما فعل أصحاب بدعة الطبيعة الواحدة، عيث قاموا بتأليه الجسد أو تأنيس الرُّوح. في الوقت نفسه، يجبُ ألَّا نفصل بينهما أبدًا. هما متَّحدتان في كُلِّ آن وفي كُلِّ مكان. تَمَّ فيما بعد إضافة عبارة توضيحِيَّة إلى عبارات النفي الأربع هذه الصادرة عن مجمع خلقيدونيَّة: «لقد احتفظت كُلُّ طبيعة بصفاتما الخاصّة». أي، في التجسّد، لم يتحلُّ الابن عن أيِّ

من صفاته. لا تزال طبيعتُه الإلهيَّة أبديَّة، أزليَّة، كُلِّية المعرفة، كُلِّية الوجود، وكُلِّية القدرة، وتتمتَّع بجميع الصفات الإلهيَّة. لم يتوقّف الله عن كونه الله عندما أخذ الطبيعة البشريَّة في يسوع. في الوقت نفسه، احتفظت الطبيعة البشريَّة بصفاتها الخاصَّة، فكانت محدودة، غير أبديَّة، محصورة، وغير قادرة أنْ تكونَ في أكثر من مكان واحد في وقت أبديَّة، محمورة، وعير قادرة أنْ تكونَ في أكثر من مكان واحد في وقت واحد، ومعرفتها محدودة، وقوَّها محدودة. بقيت كلُّ هذه الصفات الإنسانيَّة صفاتِ بشريَّة يسوع.

OUTO DOSSAS OFFICE AND THE STATE OF THE STAT

يصادف يوم الأحد ١٥ تموز شرقي، الواقع في ٢٨ غبي ، تذكار آباء المجمع المسكوني الرابع، المجمع الذي تبني أنَّ للسيد المسيح طبيعتين ومشيئتين وإرادتين. وفيما يلي سنعرض هذا المقال الهام بامتياز بخصوص هذا المجمع المسكوني الرابع، مجمع خلقيدونيَّة: كما أوضَح ذلك جهابذة الكنيسة الرُّوميَّة الأرثوذكسيَّة ومعلموها العظام، ومنهم القديس يوحنا الدمشقي.



في هذا الأحد الواقع بين ٢٦/١٣ تموز و ١٩ تموز/١ آب، تُقيم الكنيسة الأرثوذكسيَّة تذكار آباء المجامع المسكونيَّة الستَّة الأولى الذين عملوا بمحبَّةٍ وجُهدٍ كبيرين ليَحفظوا حقيقة يسوع المسيح الإله—الإنسان، من أجل خلاصنا. يرتبطُ الَّلاهوت الحقيقيّ بشكل وثيق بالممارسة الحقيقيّة وبالروحانيَّة، ويغتذي منهما. تاليًا، هو مرتبطٌ بشكلٍ وثيق بِسَعْينَا المستمرّ للكمالِ في المسيح. تُقبَل تحديدات المجامع المسكونيَّة كشهاداتٍ معصومةٍ وحصينةٍ للتقليد الأرثوذكسيّ.

مع ذلك، هناك من يسعى اليوم لأن يُقلِّل من أهميَّة هذه المجامع وأهميَّة الآباء المعايني الله الذين عملوا فيها، وأن يحوِّروها بغية «اتِّحاد» كنيسة المسيح الحقيقيَّة مع أجسامٍ أخرى غير أرثوذكسِيَّة. ينتفض ضدَّ هذا التيَّار المتقدِّم في الكهنة ثيوذوروس زيسيس، البروفسور الفخريّ في معهد اللاهوت في جامعة أرسطو – تسالونيكي، كمدافع قويِّ عن التقليد الآبائيّ للكنيسة الأرثوذكسيَّة متكلِّمًا بالحقِّ في الحبَّة. ويسعى أن يقدِّم لمتابعيه لاهوتًا آبائيًّا سليمًا بطريقةٍ واضحةٍ وعمليَّة. يمكن الاطلّاع على سيرة الأب ثيوذوروس بطريقة واضحةٍ وعمليَّة. يمكن الاطلّاع على سيرة الأب ثيوذوروس

نورد أدناه نموذجًا من الأب ثيوذوروس موجَّهًا بشكل خاص إلى الحركة المسكونيَّة المنتشرة بين بعض أعضاء الكنيسة الأرثوذكسيَّة واللاخلقيدونيِّين، خاصةً بسبب سوء استخدامهم للاهوت المجامع المسكونيَّة ولاهوت النجم الساطع القديس يوحنا الدمشقيّ.

الذاتيَّة عبر الرابط التالي: http://impantokratoros.org.

1. التقييم العام للحوار:

من المتعارف عليه أنَّه من بين الحوارات التي بُحُريها الكنيسة الأرثوذكسيَّة الجامعة مع المبتدعين (heterodox) نحد الحوار مع المونوفيزيِّين أو «اللاخلقيدونيِّين» أو «ما قبل خلقيدونيا» أو «الشرقيِّين

القدامي»، أو كما دُعُوا مُؤخَّرًا – بما لا يوافق التقليد – «الأرثوذكسيِّين الشرقيِّين». انتهى هذا الحوار، على مستوى اللجنة اللاهوتِيَّة المشتركة التي كانت تُديره، باتِّفاقٍ يتَّضح منه أنَّ ما من شيءٍ يُفرِّقنا إيمانِيًّا، وأنَّ الاختلافات الملاحَظة حتى الآن هي نتيجة لسوء فهم وسوء تفسير المصطلحات اللاهوتيَّة التي يفهمها الخبراء اللاهوتيون الآن بشكلٍ أفضل من الآباء القديسين، وأنَّ الانفصال الأساسيّ للاخلقيدونيِّين عن الكنيسة لم يكن لأسباب لاهوتيَّة بل سياسيَّة.

هذه الصورة المُشوَّهة سادت من بداية المناقشات في كلِّ من المؤتمرات الأربعة غير الرسميَّة بين الأرثوذكسيِّين واللاخلقيدونيِّين التي عُقِدَت - كما تجدر الملاحظة - بمبادرة من مجلس الكنائس العالمي، وفي الاجتماعات الرسميَّة للّجنة الأرثوذكسِيَّة بما يخصّ هذا الحوار والمؤتمرات بعد اللجنة المشتركة. خاصةً، أنَّه وُجد أشخاصُّ، أعضاء في الحوار وممتِّلُون للكنائس، اعتقدوا أنَّ «أرثوذكسيَّة» اللاخلقيدونيِّين غير قابلة للجدال وفوق كلِّ نقاش، وتاليًا لا لزوم للحوار اللاهوتي، لأنَّه يجعل الأمور أكثر تعقيدًا. لقد حافظوا على هذه النقاط واقترحوا أنَّه على الكنائس أنْ تمضي قُدمًا نحو إعلانٍ بسيطٍ للوحدة، لأنَّ خمسة عشر قرنًا من التباعد كانت بدون مُبرِّر. بناءً على هذا الأساس، لقد كانت الكنيسة على خطأ على مدى هذه القرون، ليس فقط مئاتٌ من الآباء القديسين العظماء واللامعين والحكماء والمستنرين قد أخطأوا بجهادهم وكتاباتهم ضدَّ المونوفيزيِّين واليعاقبة الذين لا رأس لهم وأتباع سفيروس...، إنَّما أيضًا العديد من الشيوخ القديسين البسطاء والمستنيرين الذين، بحسب ما تُظهره عدَّة قصص واردة في كتاب سِير الآباء الشيوخ، رفضوا حتَّى أن يتكلَّموا مع اللاخلقيدونيِّين حتى يتخلُّوا عن بدعتهم ويعترفوا بقرارات المجمع المسكونيّ الرابع المنعقد في خلقيدونيا.

بالتأكيد لم يكن لدى الآباء القديسين والشيوخ الأجلاء محبّة وفهم أقل من أبطال الوحدة المعاصرين. لقد ارتكز موقفهم على اهتمام وأن رعائي وتعليمي، فعلى أولئك الذين أنحرفوا أن يُدركوا خطأهم وأن يُقادُوا إلى الإيمان الصحيح الذي هو شرطٌ لا غنى عنه للخلاص. يقادُوا إلى الإيمان الصحيح الذي هو شرطٌ لا غنى عنه للخلاص. الذي يتكلّم بالحقِّ لديه الحبّة، حتى ولو تسبّب بالشقاء بداية وخلق ردَّة فعلٍ، لا الذي يُضلِّل الحقيقة وَيَتكَتَّم عنها آخذًا بعين الاعتبار العلاقات البشريَّة الوقتيَّة لا الحقائق الأبديَّة. هذه المسائل قدّ تمَّ العلاقات البشريَّة الوقتيَّة لا الحقائق الأبديَّة. هذه المسائل قدّ تمَّ ايضاحها في ضمير الكنيسة. هناك وفاقٌ وسلامٌ خيِّرَان وآخرَان وآخرَان في الإيمان، هوحدة الإيمان وشركة الرُّوح القُدُس» وحدها، التي ين الإيمان، هوحدة الإيمان وشركة الرُّوح القُدُس» وحدها، التي متزعزع وَتَضْمَنُهُ، لأغًا ترتكز على وحدة روحيَّة وأسراريَّةٍ. عندما تغيب هذه الوحدة، يكون لدينا وفاقٌ وسلامٌ سيمًان وكاذبَان يُديمانِ جرح الانفصال والانقسام ويُخفيانه؛ في هذه الحالات «حربٌ حميدةٌ أفضل من سلام يقطع إنسانًا عن الله» (١).

الصورة الزَّائفة والخياليَّة حول عدم وجود اختلافات في الإيمان مع اللاخلقيدونيِّين بدأت بالظهور في بداية هذا القرن، لكن تمَّ عرضها بشكلٍ مُغرٍ حدًّا وجذَّابٍ في العقود الأخيرة التي كانت خلالها، المدعوَّة بالحركة المسكونيَّة، قد بلغت ذروتها قبل أنْ كانت قد تعرَّضت لضرباتٍ مدمِّرة لا مفرَّ منها ناتجة عن إحياء الاتِّاديَّة (على سبيل المثال الروم الكاثوليك) الكاثوليكيَّة وتقويتها، وعن اللاهوت التوفيقيّ الغامض ونسبيَّة البروتستانت، والتي بالنهاية، بعد ظهورها العاري والمكشوف في الاجتماع العام السابع لمجلس الكنائس العالميّ المنعقد في كانبيرا – أستراليا (شباط ١٩٩١)، بدأت بإثارة المتاعب للأرثوذكسيِّين.

على كلِّ حال، ثمرة هذه النسبيَّة والتوفيقيَّة اللاهوتيَّة التي كانوا يحصدونما كانت الصورة المُجَمَّلة لاختلافاتنا مع المونوفيزيِّين، الذين لم يُدْعَوا هكذا من بعد، إنَّما بدايةً دُعُوا بـ «اللاخلقيدونيِّين»، ثمَّ: «ما قبل الخلقيدونيين»، أو «الشرقيين القُدماء»، والآن «الأرثوذكسيين» بما أنَّنا هدمنا الحواجز والحدود، على الرَّغم من نصيحة الآباء « ألَّا ننزع الحدود الأبديَّة التي وضعها آباؤنا»، وسمحنا للمونوفيزيِّين، الذين كانوا هراطقةً لمدَّة خمسة عشر قرنًا في ضمير الكنيسة، أن يُصْبِحُوا ورثةً للأرثوذكسِيَّة، وأن يُدْعَوْا أرثوذكسيِّين مثلنا دون **عودةٍ وتوب**ة. إ**نَّ** التشوُّش والفوضى اللاهوتيَّة هي حقًّا مُحَيِّرة، كما هو هدم كلِّ الحواجز. إنْ قرأ أحدُّ ما أو سمعَ، قبل عشر سنواتٍ فقط، مصطلح «اللجنة الأرثوذكسيَّة المشتَركة»، أو «الكنائس الأرثوذكسيَّة» لفهم أنَّها لجنة الكنيسة الأرثوذكسيَّة أو الكنائس الأرثوذكسيَّة المحليَّة التابعة للكنيسة الأرثوذكسيَّة الشرقيَّة الجامعة التي تتألُّف من الكنائس الأرثوذكسيَّة المستقلِّة في الشرق، مع كنيسة القسطنطينيَّة التي تحتلُّ المركز الأوَّل. مع ذلك، لم يَعُد هذا واضحًا الآن؛ بعد عدَّة سنواتٍ من العمل المنظُّم الذي أتمَّه مُخَطِّطو المسكونيَّة، يمكن أن تحوي «اللجنة الأرثوذكسيَّة المشتَركة» لاخلقيدونيِّين منذ أنْ كُنَّا قد وافقنا

على كنائس المونوفيزيت كالأقباط والسريان اليعاقبة والأرمن والأثيوبيّين...، أنَّا مُحصاةً الآن ضمن الكنائس الأرثوذكسيَّة الشرقيَّة. قبل البروتستانت، كان البابا هو المعلِّم الأوَّل للتوافق اللاهوتي والكنسي كما يتَّضح في المؤسَّسة الاتّحاديّة، حيث يُسمح للمهتدين بالمحافظة على سماتهم المميَّزة، وحتَّى على فرطقاتهم، والشرط الوحيد هو أن يعترفوا بأوليَّة البابا.

النتيجة الثانية لهذه النسبيَّة اللاهوتِيَّة وتدمير حدود الكنيسة كانت ركود الحس الكنسيّ والوعي الذاتي للعديد من اللاهوتِيِّين الأرثوذكسيِّين، خاصةً لأولئك الذين انخرطوا في مجلس الكنائس العالميّ، لكن أيضًا لمن ارتبط بطريقة ما بتلك الروح المسكونيَّة المُندفعة التي صُقِلَت على مدى عدَّة عقود. هذا الركود، كثمرة لتحقيقٍ لاهوتيِّ موضوعيِّ مُفترض، محميِّ بأسماء لاهوتيِّين أرثوذكسيِّين مسكونيِّين مرموقين، بدأ تدريجيًّا بمهاجمة اللاهوتيّين المعتبرين حتى الآن تقليديين.

يجدُ المرء أنَّه لمدهشٌ، على سبيل المثال، أنْ يتمَّ تقييم وَتَتبُّع موقف اللاهوتيِّين المشاركين في الحوار، الذين، ارتكازًا على كتاباتهم الخاصَّة، زعموا أنَّ الطريق إلى الوحدة مع اللاخلقيدونيِّين صعبةٌ وأنَّ الاعتراف بقرارات المجمع المسكونيّ الرابع والقرارات المسكونيّة الأُخرى هو شرطٌ ضروريُّ للوحدة، بينما الآن يرحِّبون بالوحدة السهلة والخالية من المشاكل حتَّى دون أن يضعوا شرطًا بالاعتراف بقرارات المجمع المسكونيّ الرابع والقرارات المسكونيّة الأخرى، بكلِّ بساطةٍ لأنَّه لا يمكن لذلك أن الرابع والقرارات المسكونيَّة الأخرى، بكلِّ بساطةٍ لأنَّه لا يمكن لذلك أن يحصل. كما تمَّ الإعلان عن ذلك من جهة اللاخلقيدونيِّين في اجتماعٍ غير رسميٍّ في جنيف، بالرُّغم من أنَّ لاهوتيِّينا يعتقدون أنَّه بإعادة تفسير غير رسميٍّ في جنيف، بالرُّغم من أنَّ لاهوتيِّينا يعتقدون أنَّه بإعادة تفسير قرارات المجمع المسكونيّ الرابع سيقنعون اللاخلقيدونيِّين بقبولها.

غير أمّّا ليست مسألة تفسير، إنّما تغيير وقلب قرارات المحامع المسكونيَّة رأسًا على عقب. على سبيل المثال، أيّ تفسير سنعطيه للتعريف الإيمانيّ الصادر في المجمع المسكونيّ السابع المنعقد في نيقية، الذي يلخّص كلّ الإيمان الأرثوذكسيّ، ويقول عن المونوفيزيِّين وقديسيهم ما يلي: « نعترف مع آباء هذا المجمع أنَّ الذي اتَّخَذَ حسدًا من الكليَّة النقاوة والدة الإله الدائمة البتوليَّة مريم هو ذو طبيعتين وأنَّه إله تام وإنسانٌ تام كما حدَّد ذلك مجمع خلقيدونية طاردًا من القاعة الإلهيَّة إفتيشيوس وديوسقوروس كمحدِّفين وجعل في هذه المنزلة نفسها الإلهيَّة إفتيشيوس وبطرس وغيرهما الذين كانوا يُجدِّفون بطُرُق مختلفة»(٢).

غن الأرثوذكسيِّين نعتبر قرارات المجامع المسكونيَّة معصومة، لأنَّه قد تمَّ التوصُّل إليها بوصاية الرُّوح القُدُس، وتمَّ التعرُّف إليها من ضمير الكنيسة على مرِّ العصور. فهل سنعتدي على مكانة المجامع المسكونيَّة وسلطتها بتفسيرات وسفسطات لاهوتيَّة، وهل سنُحدِثُ انشقاقًا في وحدة الكنيسة الأرثوذكسيَّة الدائمة وجامعيَّتها بُحبرين أرثوذكسيِّي القرن العشرين أنْ يُؤمنوا على خلاف أرثوذكسيِّي الأجيال السابقة بما يختصُّ باللاخلقيدونيِّين، خاصَّةً أنَّ هذا الإيمان قد ثُبِّت ودُرِّسَ من قبل أشخاص مستنيرين وقديسين؟ ليس اللاهوت بأمرٍ سهلٍ ليتمَكَّنَ أيُّ أَشخاص مستنيرين وقديسين؟ ليس اللاهوت بأمرٍ سهلٍ ليتمَكَّنَ أيُّ كان أن ينظِّر ويتشاور به بهدف خلق علاقات شخصيَّة واجتماعيَّة. إنْ حَطَّمتَ أيّ شيءٍ فالبُنية كلها ستتحطَّم. لقد أدرَك الآباء القدِّيسون هذا

الأمر جيدًا، ولهذا السبب ينصحون الهراطقة بالإقلاع عن الهرطقة وقبول التعليم الأرثوذكسيّ كالسَّبيل الوحيد والطريقة الوحيدة للوحدة. لقد استبعدنا الآن هذه الطريقة مُسبَقًا، بما أنَّنا قد اعترفنا بمم كأرثوذكسييِّن ووضعناهم في كنف الكنيسة الأرثوذكسيَّة التي كان آباؤنا القديسون قد طردوهم منها بطريقة إلهيَّة مُلهَمة لا يشوبها خطأ بقرارات المجامع المسكونيَّة.

٢. القديس يوحنا الدمشقيّ واللاخلقيدونيُّون:

بالحقيقة، ما من أبِ أو قديس في الكنيسة على مدى تقليد القرون الخمسة عشر، منذ المجمع المسكونيّ الرابع حتى يومنا هذا، يمكن أنْ يُؤَمِّنَ ويعلِّمَ أنَّه لا يوجد خلافاتٌ في الإيمان مع اللاخلقيدونيِّين وأنَّم في الأساس أرثوذكسيُّون مثلنا. على العكس، هناك العديد من قدّيسي الكنيسة العظماء، بعد مجمع خلقيدونيا، قد حدَّدوا عمق اتِّساع هرطقة اللاخلقيدونيين وعرضها. من بينهم عمالقة اللاهوت وجبابرته، أعمدة الأرثوذكسيَّة، الذين حِكْمَتَهُم المتنوِّعة، بغض النَّظر عن استنارة الرُوح القُدُس، مُدهشةٌ ولا يمكن إنكارها، ومتفوّقةٌ جدًّا على حكمة أولئك الذين يقودون الحوار اليوم، ويبدو أنَّه لمضحكٌ التحاجُج حول عدم فهمهم لمنطق اللاخلقيدونيِّين، ومواقفهم وأنَّنا نفهمهم أفضل اليوم. إذًا، ألم يفهم كُلِّ مِنَ القدّيس مكسيموس المعترف والقدّيس يوحنا الدمشقيّ والقدّيس فوتيوس الكبير هذه المشاكل؟ -نذكر فقط هؤلاء الآباء الثلاثة الذين تواجهوا مع اللاخلقيدونيين - خبرة الحوارات اللاهوتِيَّة المرَّة تقود إلى استنتاج أنَّ تحضيرات أعضاء البعثة الأرثوذكسِيَّة لهذا الحوار لم تكن متَّحِدة ومُنظَّمة، أو مرتكزة على مصادر الإيمان الأرثوذكسيّ، كنصوص المجامع المسكونيَّة والآباء، إنَّا على مصادر شخصيَّة حسب الأفضليَّات والميول اللاهوتيَّة لكلِّ عضو ترتكز بشكل أساسيِّ على بياناتٍ معاصرةٍ قد أفسدتها الروح المسكونيَّة. من المؤكَّد أنَّ مواضيع الحوار كانت ستُعالَج بشكل مختلفٍ تمامًا لو قَرَّأَ الأعضاء الأرثوذكسيُّون الآباء القديسين -حتى ولُّو الآباء الثلاثة البارزين الذين ذكرتُهم فقط. يرى المرء في نصوصهم نفس التنازلات والتعديلات من جهة اللاخلقيدونيِّين كما نراها اليوم، لكن قد تمَّت إدانتها من قِبَل الآباء على أنَّما غير صادقة وتمويه بسيط للمونوفيزيتيَّة طالما أنَّما لا تقود إلى اعترافٍ وتعدادٍ صريحَين لطبيعتَين في المسيح في الشخص الواحد بعد الاتِّحاد، بالتالي هي لا تقود إلى اعترافٍ بالمجمع المسكونيّ الرابع. الغريب أنَّه بينما يتمّ تحاهل التقليد الآبائيّ بشكلِ كامل، يتمُّ إعداد منهج كامل جديد والإقدام على استحداث المسائل الإيمانيَّة. من ضمن هذا المقدار الهائل للمواد الآبائيَّة، قد استُشهدَ بقولِ للقديس يوحنا الدمشقيّ بشكل سخيف. هذه العبارة، باقتطاعها من سياق النص وبدون أيّ ارتباط مع ما قاله محرى الذَّهَب أبو كنيسة أنطاكية والكنيسة الأرثوذكسِيَّة الجامعة في تعامُلِهِ مع هرطقة اليعاقبة الذين لا رأس لهم، تترك انطباعًا أنَّه يعترف بهم كأرثوذكسيِّين. اللجوء إلى القدّيس يوحنا الدمشقي يلعب دورًا تحفيزيًّا، ويُثير الانطباع بأنَّه باعتباره فم الكنيسة يلخِّص إيمان الكنيسة وأنَّه من كلِّ النواحي معلِّمٌ لا يُقاوَم وقاعدةُ الأرثوذكسِيَّة. إنَّه لا يُعتَبَر كذلك بكلِّ بساطةٍ، لكنَّه

هكذا بالواقع. لهذا السبب، اللجوء إلى رأيه بما يخصُّ اللاخلقيدونيِّن باعتبارهم تقريبًا أرثوذكسيِّن، سيشكِّل فعلًا أساسًا متينًا يمكننا أن نُدَعِّم عليه محاولات استتباع إعادة اتجّاد اللاخلقيدونيِّين بالكنيسة الأرثوذكسِيَّة. ولو كانت الأمور هكذا فقط، وكان سبب كلِّ هذا الشقاء وهذه المرارة الناتجين عن التباعد والانقسام هو الغموض وسوء فهم المصطلحات وأسبابٍ تاريخيَّة وسياسيَّة طارئة، خصوصًا أنّه بقدر ما يمكن أنْ يستخلص هذا التخمين فهمًا خاصًا من معلِّم العقيدة بامتياز ونصير الأرثوذكسيين القديس يوحنا الدمشقيّ، الذي عاش بعيدًا عن القسطنطينيَّة في كنيسة أنطاكية التي منها ابتُدِعَت كنيسة السريان اليعاقبة، والذي يعرف الوضع بشكلٍ أفضل وأوثق. مع ذلك، الصورة التي تُستَخلَص من قراءة نصوص القديس يوحنا الدمشقيّ مختلفة ومعاكسة كُليًّا، ومُعرقِلة لاحتمالات إعادة الوحدة مع اللاخلقيدونيِّين، حتى مع الشروحات والتفسيرات، إلَّا إنْ عادُوا

إلى الكنيسة الأرثوذكسِيَّة واعترفوا بإيمان خلقيدونيا. يجب أنْ يجعل

هذا الاستنتاج كلَّ من يندفعون إلى تحقيق الوحدة حَذِرين ومنتبهين،

وخاصَّةً كنيسة أنطاكية التي لها من مدينة دمشق مقرٌّ لبطريركها، أي

المدينة التي وُلدَ فيها القدّيس، وهي التي تُكرِّمه وتُوقِّره كما يتَّضح من تسمية معهدها اللاهوتيّ الذي يحمل اسم القدّيس يوحنا الدمشقيّ. لكن دعونا نرى باختصار ما هي الصورة التي تظهر من كتابات القدّيس يوحنا الدمشقيّ. في المقام الأول، من المعروف أنَّه كتب ثلاث مقالات ضدَّ اليعاقبة أو الذين لا رأس لهم ويدعوهم من دون تردُّد بالمونوفيزيِّين. المقالة الأولى متعلِّقة بالطبيعة المركَّبة، ضدَّ الذين لا رأس لهم (٣)، والمقالة الثانية شموليَّة أكثر من الأولى، كتبها بطلب من بطرس بطريرك أنطاكية بعنوان توموس من بطرس أسقف دمشق الكليّ القداسة إلى المزعوم أسقف داريًّا اليعقوبيّ(٤)، والمقالة الثالثة بعنوان رسالة إلى الأرشمندريت يوحنا فيما يختص بالنشيد المثلُّث التقديس (التريصاجيون: قدوس الله...)()، يُحلِّل من خلاله الطابع الثالوثيّ في نشيد التريصاجيون ويعارض تقييد المسيح وحده كما يفعل المونوفيزيون بغية تبرير إضافة عبارة «يا من صُلب من أجلنا». من يحصر نشيد التريصاجيون إلى شخص واحد من الثالوث القدوس «يشارك في غباء القصَّار» ويساهم في «الإهانة الشريرة التي أدخلها القصَّار لتدمير الجميع تمامًا»(١٠). بطرس القصَّار بطريرك أنطاكية هو من أدخل الإضافة على نشيد التريصاحيون. كتب القدّيس يوحنا أيضًا مقالةً ضدُّ المونوثيليت حيث ذكر أيضًا فيها المونوفيزيِّين. كان عنوانها: فيما يختص المشيئتين والقوَّتيْن والصفات الطبيعيّة الأخرى في المسيح بالتزامن وفيما يختص الطبيعتين والأقنوم الواحد(٧). نجد أيضًا مراجع أساسيَّة في أشهر أعماله فيما يتعلَّق بالهرطقات بشكل مختصر متى بدأت وأين ظهرت(^) وعرضٌ دقيق للإيمان الأرثوذكسيّ(٩) الذي يشكِّل مع عمل الفصول الفلسفيَّة (• () عملاً واحدًا من ثلاثة أجزاء «ينبوع المعرفة». يوجد

تأتي العبارة الجدايَّة للقدّيس يوحنا الدمشقيّ، التي يستشهدون بما

أيضًا في أعمال مختلفة مراجع متناثرة عن المونوفيزيّين.

كثيرًا كما قلنا في الدِّفاع عن «أرثوذكسِيَّة» اللاخلقيدونيِّين، من العمل المتعلِّق بالهرطقات وتمَّ تجريدها من سياقها والتي تقول إنَّ اللاخلقيدونيِّين «انفصلوا عن الكنيسة بحجَّة مجمع خلقيدونيا، في ما عدا ذلك هم أرثوذكسيُّون». بدايةً يجب أن نقتبس النصَّ الكامل للقديس يوحنا والذي سنعلِّق عليه من دون الدخول حاليًّا في جوهر تعليمه، وهو يعارض تمامًا النصوص المشتركة التي وُقِّعَت في الحوار، كما هو بالتأكيد التعليم المشترك لجميع آباء الكنيسة الأرثوذكسيَّة الذي يعبِّر عنه القديس يوحنا الدمشقيّ.

النص كما يلى:

القِبط، وهم المسمَّون كذلك «منشقين» أو «مونوفيزيِّين»، هؤلاء انفصلوا عن الكنيسة الأرثوذكسِيَّة بدعوى الوثيقة التي أُقرَّت في خلقيدونيا والتي عرفت باسم تومُس. إنَّ اسم «القبط» يأتي من أنَّم كانوا أول من أطلق هذا المذهب أيَّام حكم الأمبراطورين مركيانوس وفالنتينوس. في ما عدا ذلك، هم أرثوذكسيُّون. هؤلاء عارضوا المجمع الخلقيدونيّ، تعاطفًا مع ديوسقوروس الاسكندري، الذي عزله المجمع المذكور لأنَّه جعل نفسه محاميًا عن عقائد أفتيشيوس. وقد اختلقوا عليه (للمجمع الخلقيدوني) اتِّمامات كاذبة فنَّدناها أعلاه تفنيدًا وافيًا في هذا المؤلَّف كاشفين للعيان عدم صلابتها وَعَبَثِيَّتها. قائداهم كانا ثيودوسيوس الاسكندري، ومن هنا تسمية «الثيودوسيين»، ويعقوب السورى الذي إليه ينسب «اليعقوبيُّون». وكانا شاهدين على كلِّ هؤلاء، مؤيِّدًا قضيتهم وبطلانها، سفيروس مُفسد أنطاكيا، ويوحنا فيلوبونوس ذو الاعتقاد بالآلهة الثلاثة، الذي حاك أفكارًا كافرة. هذان أنكرا سرَّ خلاصنا وكتبا أشياءَ كثيرة ضدَّ تعليم آباء خلقيدونيا الثلاثين والستمئة الموحى به من الله، كما نَصَبَا أشراكًا عديدة وَوَضَعَا، إذا صحَّ التعبير، حجارة عثرة في درب الآباء: «أُخفى لى المتكبرون فخًّا وَمَدُّوا لِرِجلَيَّ شَرِّكًا بحبالٍ ووضعوا لي بقربِ طُرِقي معاثر» (مز١٣٩: ٦). أولئك الذين هلكوا بداعي هرطقتهم المشؤومة. ومع أنَّهما يقولان بجوهرين خاصين (إلهيّ وبشريّ) فإنَّهما يدخلان التشويش في سرِّ التدبير. إنَّنا نعتبر أنَّه من الضروريّ أن نناقش باقتضاب كفرهما ونضيف تعليقات قصيرة تفنيدًا لهرطقتهما الملحدة المشينة. سأوضح تعاليم أو بالأحرى هَذَيَان بَطَلِهم يوحنا فيلوبونوس الذين يفتخرون به. (١١).

الملحوظة الأولى التي يجب ذكرها هي أنَّ القدّيس يوحنا الدمشقيّ شمل اللاخلقيدونيِّين وحسبهم ضمن الهراطقة. العدد ٨٣ الذي يسبق هذا النصّ هو رقم الهرطقة حسب الترتيب التي وضعها. لو كان يؤمن أهَّم أُرثوذكس، بالتأكيد لما كان سيُدرجهم ضمن الهراطقة. دعاهم بصراحة بالمونوفيزيِّين: « القبط، وهم المسمّون كذلك منشقين أو مونوفيزييِّن». كُتِبَ وقيل الكثير في البيانات اللاهوتِيَّة المسكونِيَّة المعاصرة عن كونهم ليسوا بمونوفيزيِّين لدرجة التردُّد في استخدام هذا المصطلح ممَّا يُمال إلى إلغائه.

لننتقل إلى العبارة المشؤومة: «انفصلوا عن الكنيسة الأرثوذكسِيَّة بدعوى الوثيقة التي أُقرَّت في خلقيدونيا والتي عرفت باسم تومُس...

في ما عدا ذلك، هم أرثوذكسيُّون». في القسم الأول من العبارة، يُذكر بوضوح أنَّ المسألة تتعلَّق بالمنشقين الذين لا ينتمون للكنيسة الأرثوذكسِيَّة: «انفصلوا عن الكنيسة الأرثوذكسِيَّة». إذن هم خارج نطاق الكنيسة الأرثوذكسِيَّة. إنَّ سبب انفصالهم عن الكنيسة الأرثوذكسِيَّة هو التعريف العقائديّ ووثيقة خلقيدونيا وليس الأسباب التاريخِيَّة والسياسِيَّة التي يسعى اللاهوتِيُّون والمؤرِّخون المعاصرون إلى التاريخِيَّة والسياسِيَّة التي يسعى اللاهوتِيُّ وغريبًا تمامًا عن المنهجيَّة الآبائِيَّة إلادراك الذاتيّ للكنيسة: «بدعوى الوثيقة التي أُقرَّت في خلقيدونيا». وأدِّي استخدام القديس يوحنا الدمشقيّ للدعوى إلى تفاقم موقف يؤدِّي استخدام القديس يوحنا الدمشقيّ للدعوى إلى تفاقم موقف اللاخلقيدونيّ الخلقيدوني ومكانته. بكلام آخر يريد أنْ يقول إنَّ إيمان خلقيدونيا واضح جدًّا ولا يحتاج إلى تفسيرات وشروحات التي نمارسها في حوار اليوم؛ إنَّ وفضه هو ذريعة لهم للذهاب إلى الانشقاق والانقسام، حيث يقودهم إيماضم المنحرف عن تعريف خلقيدونيا.

إذًا، ما معنى القسم الثاني من العبارة «في ما عدا ذلك، هم أرثوذكسيُّون»، الذي يثير الارتباك؟ بكلِّ بساطة، يضع القدّيس يوحنا الدمشقيّ جنبًا إلى جنب الخطأ اللاهوتيّ العظيم برفض خلقيدونيا، الذي يضع غير الخلقيدونيين تلقائيًّا حارِج الكنيسة، مع الحفاظ على نصيبهم في الحياة الكنسيَّة كما في الأمور الإيمانيَّة الأخرى فيما يختصّ بالتعاليم والممارسات والعادات الليتورجيَّة المتعلَّقة بكونهم أرثوذكسًا أي ما يوافق الكنيسة الأرثوذكسيَّة الجامعة. يعلم الجميع أنَّ الوحدة تفترض مسبقًا الوحدة في الإيمان والعبادة والإدارة وخاصةً أنَّه في المسائل الإيمانيَّة تصل الوحدة حتَّى إلى التفاصيل الصغيرة لأنَّه بسبب العلاقة العميقة والمتماسكة لحقائق الإيمان «من يسيء إلى جزءٍ صغير يسيء إلى الكل». من المؤكّد أنَّ عقيدة خلقيدونيا المتعلِّقة بالاتِّحاد الأقنوميّ بين الطبيعتيْن في شخص المسيح هو تعليم عقائديّ أساسيّ ويشكِّلُ رفضه هرطقةً، حتَّى لو كان أولئك الذين يرفضونه «أرثوذكس من كلِّ النواحي الأخرى». هذا هو موقف القدّيس يوحنا الدمشقيّ الذي تمَّ تأكيده في بقية الاقتباس بالإضافة إلى مواقفه الأخرى. لكن قبل أن ننتقل إليها، يجب أن نقول في السياق الحالي إنَّ ما يُقال عن اللاخلقيدونيِّين عكن أن يُقال أيضًا عن الآريوسيِّين ومحاربي الإيقونات: هذا يعني أنَّ الذين انفصلوا سابقًا «بدعوى الوثيقة التي أُقرَّت في نيقية ١» والذين انفصلوا لاحقًا «بدعوى الوثيقة التي أُقرَّت في نيقية ٢» هم أرثوذكس من كلِّ النواحي الأخرى. إذًا، هل من المفترض أنْ نتساءل حسب هذا المنطق عن عدد القرارات وعن طبيعة وأسماء المجامع التي رفضها الهراطقة بمدف تحويلهم أرثوذكس وتدمير الحدود الثابتة «التي وضعها الآباء» تدريجيًّا وتقسيم حسد الكنيسة عبر الزمن و «مع جميع القديسين» ليس في ضوء عودة واضحة بتوبةٍ، بل باعتراف غامض ومبهم لغير الخلقيدونيِّين؟

ما تبقَّى من الاقتباس مُثيرٌ أكثر للاهتمام. يملك اللاخلقيدونيُّون نظرةً إيجابيَّةً عن ديوسقوروس الذي عزله مجمع خلقيدونيا لدفاعه عن تعليم إفتيشيوس. لهذا السبب قاموا بتلفيق الصِّامات لا تحصى

ضد المجمع والتي قمنا بالفعل بتبديدها، مُظهرين: «مدى حمقهم وغبائهم». يذكِّرهم القدّيس يوحنا الدمشقيّ في أعمالٍ محدَّدة ذكرناها سابقًا ضدَّ اليعاقبة. كان قادتهم ثيودوسيوس الإسكندريّ، لهذا السبب ندعوهم بالثيودوسيِّين، ويعقوب البرادعي السوري الذي من خلاله ندعوهم باليعاقبة. كان حلفاؤهم سفيروس مفسد «أنطاكيا» ويوحنا فيلوبونوس اللَّذَيْن من خلال تعاليمهما أنكرا: «سرَّ خلاصنا ويوحنا فيلوبونوس اللَّذَيْن من خلال تعاليمهما أنكرا: «سرَّ خلاصنا العام». كَتَبَا أمورًا كثيرة ضدَّ «التعاليم الملهمة بما من الله للآباء الثلاث مئة والستين»، مُضلِّين ومدمِّرين الكثير من الناس في الثلاث مئة والستين»، مُضلِّين ومدمِّرين الكثير من الناس في «هرطقتهم الخبيثة».

كان المرجع الموجز لتعاليمهم المُلحدة والملحوظات الصغيرة المحرَّفة المحرَّفة المحرَّفة في رفض «هرطقتهم الملحدة المشينة».

عندما تُنقَل هذه النقاط إلى واقع اللاهوت المعاصر فإنمًا تُظهر ما يلي: لا يشكّ القدّيس يوحنا الدمشقيّ بصحَّة إدانة ديوسقوروس للذي يبرِّئه الآن العديد من الأرثوذكس – بسبب دفاعه عن هرطقة إفتيشيوس في الجمع. إنَّ عبارة: «ديوسقوروس لم يُجرَّد لأسباب إيمانيَة» التي لفظها البطريرك أناتوليوس والتي أصبحت شعارًا للحوار مثل عبارة: «في ما عدا ذلك، هم أرثوذكسيُّون»، لا تعني الاعتراف بأرثوذكسيَّته لكن ببساطة لم يأتِ إلى المجمع بعدما تمَّ استدعاؤه إليه وحُرِّد بسبب هذه المخالفة القانونيَّة وليس «لأسباب إيمانيَّة» كما هو واضح في تعليق ليونديوس المذكور هنا في الحاشية. مع ذلك، لو أتى واضح في تعليق ليونديوس المذكور هنا في الحاشية. مع ذلك، لو أتى لكان تمّ تجريده لأسباب إيمانيَّة لأنَّه كان هرطوقيًّا (١٢).

يرفض القدّيس يوحنا الدمشقيّ تحفُّظات واتمّامات اللاخلقيدونيّين ضدَّ خلقيدونيا باعتبارها لا أساس لها. في الحوار المعاصر، يحاول الأرثوذكس تفسير وتبرير مجمع خلقيدونيا من خلال تبنيّ انتقادات اللاخلقيدونيّين في كثير من النواحي وخاصَّة حنقهم ضدَّ القدّيس لاون بابا روما، الذي ربما أغرى المجمع بآرائه النسطوريَّة وقسَّم الشرقيين وهو المسؤول الكامل عن الانشقاق والانقسام في العالم الشرقي، والذي يحاول الحوار اليوم تصحيحه وعلاجه. نتيجةً لهذه الضراوة ضدَّ القدّيس لاون هو المجهود المبذول حتَّى على مستوى البحث اللاهوتي لإظهار «الطابع الكيرلُّسي» للتعريف الخلقيدونيّ وإبعاد القدّيس لاون عن قرارات المجمع، حيث يمكنهم بهذه الطريقة قبول غير الخلقيدونيّين.

من المؤكّد أنَّ هذا التبنِّي غير المسبوق في تاريخ الكنيسة الأرثوذكسِيَّة لاتِّهامات الهراطقة ضدَّ مدافعي الإيمان وأبطاله، من بينهم القدّيس لاون، عمود الأرثوذكسيَّة العظيم في الكنيسة وبرج التقوى وحصنها، (١٣) أدَّى إلى وجهة نظر أنَّ لاون غير معنيّ بالحوار الأرثوذكسيّ اللاخلقيدويّ، بل بالكاثوليكيّ اللاخلقيدويّ. مع ذلك، فإنَّ إيمان الكنيسة غير المنقسمة هو كاثوليكيّ (كاثوليكي كلمة يونانيّة فإنَّ إيمان الكنيسة غير المنقسمة هو كاثوليكيّ (كاثوليكي كلمة يونانيّة تعني جامعيّ)؛ كما آمنت روما كذلك القسطنطينيَّة والإسكندريَّة وأنطاكية، وأيضًا بالعكسِ كما آمنت أصغر أبرشيَّة ورعيَّة كذلك فعلت المراكز الكنسيَّة الكبرى. بالتالي يتعلَّق الأمر بهم جميعًا.

ويلٌ لنا إذا نقلنا الشروط بعد الانشقاق إلى حقبة قبل الانشقاق

وجعلنا قدّيسي الكنيسة مسؤولين عن عدم استحقاقنا.

يشير الانفصال والانقسام والانشقاق عن الكنيسة بحسب القدّيس يوحنا الدمشقيّ إلى الحرمان من إمكانيَّة الخلاص. من خلال تعليمهم ينكر اللاخلقيدونيُّون «سرَّ الخلاص العام». هؤلاء الذين تمَّ إغواؤهم والذين أغووهم إلى الهرطقة، كما هو الحال مع كُلِّ هرطقة، يُدمّرون ويخسرون خلاصهم ويُقادون إلى الهلاك. نقرُّ ونعلِّم جميعنا أنَّ حوهر التعليم العقائديّ وجهادات الآباء القديسين وهدفها لم تكن جدالات لغويَّة وتأويليَّة وتوضيحات لفظيَّة بل حماية إمكانيَّة الخلاص الذي يدمِّره الهراطقة. علاوة على ذلك، نقرُّ أنَّ الصراع بأكمله قد حصل ليس لكي ينتصر هذا الرأي أو ذاك بل لكي يستطيع الإنسان أنْ يخلُصَ. مع ذلك، يميل الموقف إلى الانتشار اليوم في الحوارات اللاهوتيَّة أنَّنا جميعنا نشكِّل كنائس، وأنَّنا مُخَلَّصون فيها وأنَّنا كنائس شقيقةٌ أو عائلتان من كنائس التي ليس لديها اختلافات كبيرة في الإيمان، لكن ببساطة لا نتَّفق على المصطلحات ونفسِّر بعض المسائل بشكل مختلف. لهذا السبب نقدِّم بعض التفسيرات لهذه الاختلافات وكلِّ شخص يبقى في مكانه. يحتفظ الأرثوذكس الشرقيُّون أي اللاخلقيدونيُّون بالطابع الكيرلُّسي عن الطبيعة الواحدة للكلمة المتحسِّدة التقليديّ لهم، بينما نستخدم نحن الأرثوذكس صيغة الطبيعتين كما تنصُّ نصوص الحوار. (١٤) ليس لهذه المصطلحات أيّ تأثير على الخلاص، وقد ارتكب الآباء القدّيسون والقدّيس يوحنا الدمشقيّ خطأ في رؤية اللاخلقيدونيين ضالِّين في الهرطقة، خارج الكنيسة، ويحاولون لا بالتملُّق إعادتهم إلى حظيرة الكنيسة. أولئك الذين يديرون الحوارات اليوم يكتبون بشكل متناقض مع آباء الكنيسة: «ندرك الآن بوضوح أنَّ كلًّا من العائلتين حافظتا دائمًا بإخلاص على أصالة الإيمان الخريستولوجي الأرثوذكسي والاستمراريَّة غير المنقطعة للتقليد الرسولي على الرغم من استخدامهما للمصطلحات الخريستولوجيَّة بطريقة مختلفة». (١٥٠

ملحوظات ختاميّة

كانت نيَّتنا أن نعرض ونعلِّق على نصوص القدِّيس يوحنا الدمشقيّ وخاصةً أعماله ضدَّ اللاخلقيدونيِّين المونوفيزيِّين من أجل إظهار أنَّ الاحتكام إليه كشاهدٍ على أرثوذكسيَّتهم لا يتوافق مع الحقائق. تمَّ عمل هذا الاحتكام بشكلٍ واضح على قاعدة الاقتباس من عمله المتعلِّق بالهرطقات. في الواقع، إنَّ الصورة الكاملة التي يأخذها المرء من مجمل كتاباته موجودةٌ في خلاصته كما يقول بنفسه منتقدًا «هرطقتهم الملحدة المشينة» الذين يجدون أنفسهم فيها يخسرون خلاصهم. على ضوء هذه النقاط تتَّضح كيفيَّة أرثوذكسيَّة الشرقيِّين «الأرثوذكس» ومدى تفاؤلهم لنجاح الوحدة مع الكنيسة الأرثوذكسيَّة، طالما نؤمن أنَّ القديس يوحنا الدمشقيّ، فخر الكنيسة الأنظاكيَّة، فمُ الكنيسة وصوت الآباء والمجامع.

المصدر: html.80882/http://orthochristian.com

[١] القدّيس غريغوريوس اللّاهوتيّ، الخطاب 2. 82. (دفاعًا عن رحلته إلى البنطس؛ PG35:488C) ؛ الخطاب 6. 11 (السلاميَّة الأولى؛ 35:736AB PG): «الخلاف على الاستقامة أفضل من التوافق

خمسة أو أكثر متقلبًا من أصل ٣٦٠ أب ، كما تقولون، لا ينبغي لهذا السبب أن نرفض مجمعًا من ٢٠٠ رجل بينما جلس الرجال أنْفسهم في مجمع مع ديوسقوروس في أفسس ولم ترفضوا هكذا مجمع بسبب هؤلاء الرجال.

يسألون مجدَّدًا «لماذا لا تقبلون ديوسقوروس إذًا — كما أكَّد أناتوليوس بطريرك القسطنطينيَّة – لم يتمَّ عزله لأسباب إيمانيَّة؟» نجيب بالحقِّ أنَّه لم يُعزل لأسباب إيمانيَّة. لهذا لم يأتِ إلى المجمع لكي لا تخضع قضاياه للتحقيق؛ لكن لو أتى واستُحوبَ لكان قد عُزل كهرطوقيّ لأنَّ هذا ما كان عليه. بما أنَّه استُدعيَ ثلاث مرات ولم يأتِ وجعلوا هذا سببًا لعزله، لهذا السبب قال أناتوليوس إنَّه لم يُعزل لأسباب إيمانيَّة.

يقولون محدَّدًا «قبِلَ المجمع ذاته الهراطقة ولهذا لا يجب أن يُقبَل». يتحدَّثون عن ثيوذوريتوس (القورشي) وإيفا (الرهاوي). نردُّ أنَّ المجمع لم يقبلهم حتَّى رفض وتحريم نسطوريوس.

يسألون مرَّة أخرى بحَيرة «لماذا لم يطلبوا من ثيوذوريتوس رَفض وتحريم كتاباته ضدَّ كيرلُّس؟» بحيب على هذا أنَّه: يجب ألَّا يتَّهموا المجمع بذلك بل القدّيس كيرلُّس لأنَّه دخل في شركة مع الشرقيين ومع ثيوذوريتوس نفسه ولم يطلب من ثيوذوريتوس أن يُحرم كتاباته. لذلك لا ينبغي أتِّهام المجمع بعدم فعل ما لم يفعله القديس كيرلُّس بنفسه. ومع ذلك، عندما طلب من ثيوذوريتوس تحريم نسطوريوس، عمل المجمع ما لم يعمله القديس كيرلُّس. حتَّى لو افترضنا أنَّ إيفا وثيوذوريتوس هرطوقيَّان، لا ينبغي رفض المجمع بسببهما. قبِلَ مجمع نيقية بسبعة هراطقة كانوا في السابق آريوسيين واستمرُّوا بعد ذلك بحرطقتهم وليس لهذا السبب يُسمَّى ١٣١ أب بل مجمع ١٣ أب. على نفس المنوال، تواجد حوفينال الأورشليمي وأساقفة آخرون في مجمع حلقيدونيا والذين كانوا متواجدين مع ديوسقوروس في أفسس، وليس لهذا السبب يرفضون هذا الجمع بل في الواقع يتبنَّونَهُ.»

[13] أنظر خدمة عيد القديس في ١٨ شباط

[14] التصريح المشترك الثاني للجنة المشتركة للحوار (جنيف، أيلول ١٩٩٠)

[15] المرجع ذاته



العاطفيّ». القديس يوحنا الذهبيّ الفم، عظةٌ حول متى 35. 1 (57:405 لافوق كلّ شيء هذا هو السلام، عندما يُقطَع الجزء المريض... هذا ما حدث أيضًا في قضيَّة ذلك البرج الشهير؛ فخصامهم الحسن قد أنهى سلامهم الشرّير، وقد صُنعَ السلام بعذه الطريقة». القديس إيسيذوروس الفرمي الرسالة ٤. ٣٦، لبطرس الراهب (PG القديس إيسيذوروس الفرمي الرسالة ٤. ٣٦، لبطرس الراهب (78:1088C والسلام الأكثر إزعاجًا من أي صراع عنيد-كما يقول المزمور، «لأيّ حسدتُ الأثمةَ لمّا رأيتُ سلامةَ الخطأة» (مزمور ٧٢)».

[2] Mansi 13:377A.

[3] PG 125-95:112; critical edition in Bonifatius Kotter, O.S.B. (ed.), Die Schriften des Johannes von Damaskos, vol. IV (Berlin: W. de Gruyter, 1981), pp. 417-409.

[4] PG 1501-94:1436; critical edition in Kotter, op. cit., pp. 153-109 [this work is better known as Against the Jacobites—trans.].

[5] PG 61-95:21; critical edition in Kotter, op. cit., pp. 332-304.

[6] PG 95:57 (Kotter, op. cit., p. 329).

[7] PG 185-95:128; critical edition in Kotter, op. cit., pp. 231-173).

[8] PG 780-94:677; critical edition in Kotter, op. cit., pp. 67-19.

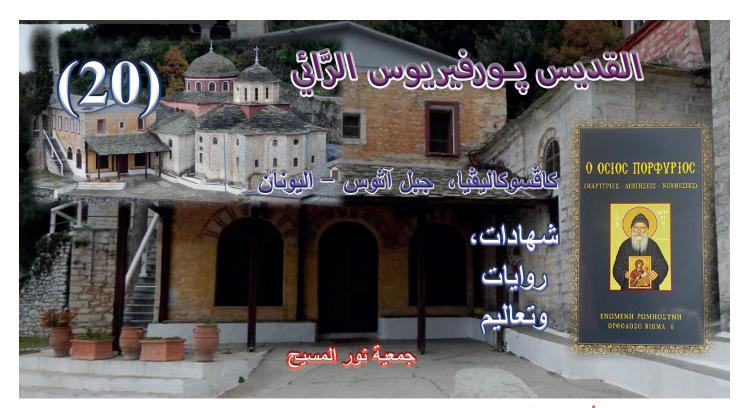
[9] PG 1228-94:789; critical edition in Kotter, Die Schriften des Johannes von Damaskos, vol. II (Berlin: W. de Gruyter, 1973), pp. 239-7.

[10] PG 676-94:521; critical edition in Kotter, Die Schriften des Johannes von Damaskos, vol. I (Berlin: W. de Gruyter, 1969), pp. 146-51.

[11] PG 94:741A-744B (Kotter, op. cit., vol. IV, pp. 50-49).

[12] De Sectis 6 (PG 86.1:1233B-1237D); critical edition in Franz Diekamp (ed.), DoctrinaPatrum de IncarnationeVerbi: Ein griechisches Florilegium aus der Wende des 7. und 8. Jahrhunderts, 2nd ed. (Münster: Aschendorff, 1981), pp. 179-177.

يقولون إنَّه ليس من الضروري القبول بمجمع خلقيدونيا لأنَّ المجتمعين فيه كانوا متقلِّبين ومتعارضين. هؤلاء الأشخاص أنفسهم عزلوا إفتيشيوس في بيزنطية وقبلوه مع ديوسقوروس في أفسس بينما رفضوا فلافيانوس، ومرَّة أخرى الأشخاص نفسهم قبلوا فلافيانوس في خلقيدونيا ورفضوا ديوسقوروس. نقول في الردِّ على هذا إنَّه لا يجب على المرء أن يأخذ العوامل البشريَّة في الحسبان. لكن حتَّى لو ظهر



٤ - « أُعاين قِلَايتكم »



ملحوظة: ما هي قلاية مارودة: (كان أحد المرشحين لمنصب رئيس الدير دير خالاندريو ويدعى فيكتور، أصله من ميجالو تيرنوفو، ذهب عام ١٦٥٣ إلى منطقة كارييس وأسَّسَ شمال غرب بوليخني هناك، وعلى ارتفاع ٢٠٥ مترًا، قلالي مخصَّصة لميلاد السيَّدة العذراء، والعذراء المدعوة مارودة (أي ماريًا الصغيرة «مارودة»).

شهادة الشيخ إيغروسينوس الآتوسي: عندما كنتُ في قلاية مارودة قرب كارييس في جبل آتوس. كُنّا نُعاني من مُشكلة نقص الماء في الصيف. كان هناك نبعُ ماء صغيرٌ يتدفّق نحو القلاية، ولكن ليس بِقَوَّة، عندما يكون فصل الشتاء شحيحًا بالمَطَرِ، كان النبعُ يتوقّف عن إمداد الماء من أوائل شهر آب، وبما أنَّ عيد القلايَّة وهو عيد ميلاد العذراء، الذي يُصادف ٨ أيلول شرقي، الواقع في ٢١ أيلول غربي، كُنّا نواجه ونحتاز صعوبة كبيرة، بسبب عدم تَوَقُّر الماء. كانت القلاية مَبنيَّة على قطعة أرضٍ مرتفعة على هضبة (٣٠٥ م ارتفاعها عن سطح البحر). من ناحية الشرق والشمال الغربي يوجد وادِيَان صغيران، ومن

جهة الجنوب يوجد مرتفع (هضبة) كبيرة. كان يوجد في الوادي الشمال الغربي نبعُ ماءٍ غزير، لكنه لم يَكُن يَصِل إلى القلاية قلاية مارودة، لكون النبع مُنخفِضًا للغاية بالنسبة للقلايَّة، كُنَّا نرغب بإيجاد ماء (إنْ وُجِد) في الهضبة الواقعة أعلى من القلاية، حتى نقوم بنقله بطريقة طبيعيَّة سَهلة، إلى القلاية، لنتحاشى صعوبة نقل الماء من النبع الذي يتدَفَّق في المنخفض السفلى، إلى قلايتنا.

«كُنَّا قد سَمعنا أنَّ البارّ پُورفيريوس يتمتَّع بموهبةٍ من الله لإيجاد الماء، وقرَّرنا أن نتواصل معه هاتفيًّا، وأن نَسرُدَ عليه مشكلتنا؛ وبالفعلِ في أحد الأيام، اتصلنا به تلفونيًّا وسألناه أنْ يُخبرنا إنْ كان هناك ماء فوق قلايتنا. أجابنا الشيخ المغبوط: أرى قلايتكم كما هي، لا يوجد ماء في المنطقة الأعلى منها، لا تبحثوا عبثًا وبدونِ طائل. إلّا أنّه يوجد نبعانِ غزيرانِ في المنطقةِ أسفل قلايتكم، إذا جهَّزتم صهريجًا ما فوق، وصهريجًا آخر بالقُربِ من النبع، بمقدوركم باستخدتم موتور (مُحرِّك) صغير، لضَخّهِ إلى قلايتكم.»

شَكرنا القديس، لكننا بقينا محتارين، أين يوجد الينبوع الثاني الذي تكلَّم عنه الشيخ القديس، فنحنُ في القلاية منذ ثلاث سنوات، نعرف يقينًا بوجود ينبوع واحد في الوادي الشمال الغربي، التي وكان من الصعب ضَخُ الماء إلى القلاية، تركنا موضوع البحث عن النبع الثاني. كان يوجد في الوادي الشرقي شجرتا جوز، وكانتا تحملان في تلك السنة الكثير من الجوز، وفي أحد أيام شهر أيلول، نزلنا حتى نجمع الجوز، وفي المساء السابق كانت قد هَبَّت ريحٌ قويَّة، مُبَعْثِرةٌ للجوزِ في الجوز المُبَعثر باتجاهِ بعض الشُجيرات، سمعنا صوت ضحة، لشيء الجوز المُبَعثر باتجاهِ بعض الشُجيرات، سمعنا صوت ضحة، لشيء يزحف أو ما شابه ذلك، بدا لنا في البداية كأنَّه صادرٌ عن أفعى تتحرَّك بين الأوراق.

اقتربنا بحذَرِ وانتباهٍ شديدين، وحدنا عِوَضًا عن الأفعى، النبع الثاني

الذي كان قد عاينه الشيخ القديس پورفيريوس من أثينا، والذي كُنّا بحهل بوجوده على بُعْدِ ٤٠ مترًا من قلايتنا. ومنه تأخُذُ ماءً أخويّة دير ستاڤرونيكيتا بواسطة أنبوب مطاطى (نبريج).

٥ − « تربية الأولاد »

شهادة السيّد قسطنطين غانوتى: في إحدى المرات جاءت عائلة معروفة لنا بابنهم ذي الخمس سنوات، الذي لم يستطع البدء في الكلام بعد، ولا حتَّى عبارة أو كلمة «ماما»، كان الأبوان في حالةٍ من اليأسِ والقنوط جَرَّاءَ فشل الأطباء الذريع في تقديم العلاج لابنهم، لسنواتٍ طويلة، وعندما كلَّمهم أحد الأشخاص عن القديس پورفيريوس والموهبة التي حباها الله بها، وعن احتماليَّة تقديم المساعدة لهما، وبالفعل قَصَدَا قلاية القديس، وعندما أمسَكَ القديس پورفيريوس رأس الصبيّ، ورَبَّتَ عليهِ بِلُطفٍ، ثمَّ استدارَ وقال لهما: «ستُوبخونهُ رأس الصبيّ، ورَبَّتَ عليهِ بِلُطفٍ، ثمَّ استدارَ وقال لهما: الأطباء، لأنَّ بينكم لا يُعاني من شيء مُقلِق أبَدًا».

لم يُصَدِّق الأهل أقوال القديس الغريبة، بعدها توجَّهوا بالصبيِّ إلى العيادة المركزيَّة: (ПКПА) (المؤسسة الوطنية للحماية والتوعية الاجتماعية). إلى طبيب قسم المعالجة الصوتيَّة. حالما عادا إلى المنزل، وإذا الهاتف يقرع، كان القديس پورفيريوس الذي وبَّخَهُما قائلًا: «أَ لَمُّ أَقُل لكما ألَّا تذهبا بالصبيِّ إلى الأطباء، طالما أخبرتُكم أنَّهُ سيتكلَّم!».

وبالفعل بعد فترة زمنيَّة وجيزة، بدأ الصبيِّ يتكلَّم، ومع مرور الوقت أصبح هذا الطفل ثرثارًا! كَبُرَ هذا الطفل وأصبح تلميذي في الصف الأوَّل الإعدادي، فلم يَكُن يترك أحدًا غيرة يتكلَّم، كان يُريد أن يُجيب عن كُلِّ الأسئلة؛ عندما استدعيتُ والدَّهُ حتى أُطْلعَهُ على سوءِ تصرُّف ابنه؛ قال لي: «نبَّهنا القديس پورفيريوس سابقًا أنَّهُ يجب أنْ نُوبِيِّخه حتى مصمت».

وعندها سألتُهُ بانذهالٍ: « من هو هذا الشيخ!، فأجابني إنَّهُ الشيخ القديس پورفيريوس. وهكذا سمعتُ عن وجود شيخ في ميليسي (ميليسي هي بجوار أوروپو تقريبًا ٦ كم، فيها ميناء مقابل جزيرة إيڤيا)، (المسافة بين قلاية القديس في ميليسي الى مركز أثينا = ٤٤ كم)؛ فقرَّرتُ أن أذهب للتعرَّف عليه وأخذ بركاته الأبويَّة.

كان مُقيمًا في قلَّاية مبنيَّة من حجارة إسمنتيَّة مجرَّدة، ومرَّةً أُخرى زُرتُهُ عندما كان مُقيمًا في عرَبَةٍ خشبيَّة. وجدنا الشيخ پورفيريوس عندها جاثمًا ومتعبًا كالنعامة الصغيرة الجاثمة على السطح.

بالقُربِ من ميليسي، كُنَّا نستعلِّم عنه الواحد من الآخر، فكان الشيخ يقودُ خطواتنا نحوه، وسط ظروف الحياة في المَدنيَّة المُمِلَّةِ والتافهة العديمة الطعم. فكان قلقنا غير المحدَّد يدفعنا لنطلب شيئًا مختلفًا، له عمق وقيمة وفحوى وهدف حقيقي، مُختلفًا عن الحياة اليوميَّة الرتيبة. كان جهلنا وعدم نضوجنا يترَجَّى حدوث عجائب وأقوالًا نبويَّة، وتشخيص الأمراض، والإرشادات لنوال الأشفية، وغيرها من الأمور الغريبة، كغذاء لفضولنا.

تَطَلَّعُ الينا القديس باهتمام، وركَّزَ لنا ضرورة الصلاة والفرح. وكُنَّ نستصعب أن نَتَقَبَّل أنَّ الفرح يمكن أن يتبع إرادتنا الشخصيَّة بتعمُّد، وأنَّ الصلاة هي مُسِّرة ومستمرِّة. كان القديس لكلِّ زائر، مَدْعاة ذهول غريبة ومُفرِحة، وطوال الوقت الذي كُنَّ ننتظر خارجًا دورنا، كُنَّ نشعر بأنَّنا أبناؤهُ، وكُنَّ نتطلَّع الواحد بالآخر بتفهُّم. الكثيرون ممَّن سبقوا وزاروا شيخنا كانوا يَقُصُّون علينا سردًا للعجائب والأشفية الإلهيَّة، التي كان معظمها يرتبط بالصحَّة، ومع تجاوزات الشباب وخطاياهم، والتي كان يُبرهن أنَّها نتيجة لخطايا الأهل الخفيَّة، وعدم التوافق والانسجام في علاقتهما، الأمر الذي كان يُذهلنا، كان كشفُهُ للحالةِ العائليَّة ولحاحالةِ الداخليَّة الداخليَّة الذاخليَّة الذاخليَّة الذاخليَّة الذاخليَّة الذاخليَّة الذاخليَّة الذاخليَّة الداخليَّة الداخليَّة الذاخليَّة الذاخليَة الذاخليَّة الذاخليُّة الذاخليَّة الذاخليَّة الذاخليَّة الذاخليَّة الذاخليَّة الذاخليُّة الذاخليُّة الذاخليَّة الذاخليَّة الذاخليَّة الذاخليَّة الذاخ

وكانت زِياراتي للشيخ القديس، مؤلمة، ومريحة في الوقتِ نفسه، وبطريقته المُحِبَّة للبَشَر، كان يكشف ضَعَفاتنا، وكان يُلهمنا من ناحية أُخرى بروح التفاؤل، بأنَّني قادِرٌ من الآن وصاعدًا أنْ أصبر بشكلٍ أفضل، وأنَّه بقدرِ ما أُحافظ على ارتباطي بالكنيسة، أستطيع أنْ أرجو خلاصي، وحتى الاشخاص الذين كانوا ينتظرون في الخارج، ويعرفون بعضهم البعض، عَلِمْتُ انَّ نفس الاشياء كانت تحدث لهم الضًا.

الأمر الذي كان يُثيرني مرارًا هو عطش الكثيرين، وكذلك عطشي لمعوفة العديد من عجائب القديس. كنتُ أشعر بنقص في تقواي الشخصيّة، عندما كنتُ أتفحّص هذا العطش الشخصي، والذي كان مُبالغًا عند الكثيرين، وبشكلٍ خاص كنتُ أشعر بأنَّ هذا العطش كان تعبيرًا عن نقصٍ جِدِّيٍّ في التقوى والإيمان، عندما كنتُ أنظر الشيخ واسمعه وهو يتكلّم عن هذه الأمور بطريقةٍ حقيقيَّة للغاية كما لو أنَّا واقعنا اليومي.

لاحقًا عندما جمعتُ الكثير من الانطباعات والمطالعات عن القديسين فهمتُ أنَّ إلهنا قد أرسله حتى يكسر ما نعتبره بديهيًّا في المنطق، وطريقة التفكير الدنيوي، وأن نتأزَّم لفهم وممارسة الحياة الروحيَّة التي تتجاوز المنطق، علم الفيزياء والسياسة وكلّ ما يماثلها، ولكنها تتضمّنها بروحٍ مختلفة، فمع الرُّوح هي أيضًا هدايا من الله لكي نستخدمها بشكل حسن. فبمقدار صلاح الله أن يُفيد من خلال هذه الأمور، فقد نَصَحَ صبيَّة أن تُشارك في رحلات أيام الآحاد مع مجموعة متسلّقي الجبال، بينما قالَ لآخر: أنَّ السباحة في البحر تُساعده.

بشكل عام كنتَ تنظر جمال العالم، من خلال تعابير وجهه الحسن. الذي كان يعبّر ويُضفى عمق هذا الجمال.

جابه كلّ الأمور بمحبّة، بطيبة، بوداعة، بصبر وتواضع. كُن دومًا كالصخر الذي يمرُّ فوقه الموج ثمّ يعود ثانية من حيث أتى. كُن, ثابتًا غير متزعزع. قد تتساءل هل هذا ممكن يا أبانا؟! نعم بنعمة الله هذا ممكن. أمّا إذا جابهنا الأمور بقوانا البشريَّة، طبعًا سيكون هذا غير ممكن.

القديس پورفيريوس الرَّائي



(كل الأشياء تعمل معهم للخير) تتمة من العدد السابق قُوَّة الصلاة والتسبيح:

لِنَعُد إلى جوهر الموضوع، إذًا لكي تعرفوا كيف: أنَّ الذين يُحبُّون الله كُلُّ الأشياء تعمل معهم للخير، فمن الضروري أنْ أشرحَ لكم هذا الأمر كُلَّهُ، أيضًا لكي تعرفوا كيف أنَّه بعد كُلِّ هذه الضَربَات، والسحن، فإنَّ نعمة الله حَوَّلَت كلَّ شيء لِخيرِهم. فَلْنَرَ كيف قَدَّمَ الطوباوي لوقا فإنَّ نعمة الله حَوَّلَت كلَّ شيء لِخيرِهم. فَلْنَرَ كيف قَدَّمَ الطوباوي لوقا البشير هذا الأمر، قائلًا: «وَهُوَ إِذْ أَحَذَ وَصِيَّةً مِثْلَ هذِهِ، أَلْقَاهُمَا فِي السِّحْنِ الدَّاخِلِيِّ، وَضَبَطَ أَرْجُلَهُمَا فِي الْمِقْطَرَة.» (أع ٢١:٤٢). إنتبه كيف تزداد الشَّدائد، لكي يُصبح صبر الرسول أكثر بهاءً، وكيف تصبح قوّة الله التي لا يُعبَّر عنَّها، واضحة وظاهرة في الجميع. لكن تصبح قوّة الله التي لا يُعبَّر عنَّها، واضحة وظاهرة في الجميع. لكن لتستمع إلى الكلمات التالية، لأنَّه أضاف: «وَخُوْ نِصْفِ اللَّيْلِ كَانَ بُولُسُ وَسِيلاً يُصَلِّيَانِ وَيُسَبِّحَانِ الله » (أع ٢١:٥٢).

أُنظر إلى هذه النفس الجسورة، وهذا الفكر الهادىء غير المضطرب. أيُّها الأحباء: ينبغي ألَّا نعبر على ما قيل بِسَطْحِيَّةٍ، لأَنَّه لا يَذكر لنا الساعة مُصادَفَةً، إذ يقول: «وَنَحْوَ نِصْفِ اللَّيْلِ»، لأَنَّه أرادَ أَنْ يُبَيِّنَ لنا الساعة مُصادَفَةً، إذ يقول: «وَنحْو نِصْفِ اللَّيْلِ»، لأَنَّه أرادَ أَنْ يُبَيِّنَ لنا أَنَّهُ عندما يكون من الطبيعي أن يحلّ النوم على الفور، حين تأتي تلك الساعة، ويُغلق المرءُ عينيه، حتى ولو كانت هناك ضيقات كثيرة، في تلك الساعة تحديدًا التي يستبدُّ فيها طغيان سُلطان النوم، نَجِد أَنَّ بولس وسيلاكانا يُصَلِّيانِ وَيُسَبِّحانِ الله، مُظهِرًا بَعذا، محبَّتِهما الفائقة لله. لأنَّه تمامًا مثلما يحدث حين نتضايق، ونَشعُر بالآلام الجسديَّة، نطلب تواجد أقاربنا وأصدقائنا المُقرَّبين حدَّا لنا، لكي نُخَفِّفَ من شِدَّةِ الآلام بواسطة الحديث معهم، هكذا هذان القديسان وهُما مُشتَعِلانِ بِشوقِهما نحو الله، ويُرْمِّانِ بالتسابيح المُقَدَّسة، لم يَنشِعَلا أبدًا بتلك الآلام، بل كانا ويُرسين بالكامل للصلاة والتسابيح المُعزيَّة، هكذا صارَ السجن، مُكرَّسين بالكامل للصلاة والتسابيح المُعزيَّة، هكذا صارَ السجن، كنيسة، وهذا المكان تقدَّسَ بأكمَلِه بصلوات وتسابيح بولس وسيلا.

إِذًا فقد باتَ مُحكنًا أَنْ يرى المرءُ أمورًا مُدهشة وعجيبة، أي أَنَّ هناك أُناسًا مُقَيَّدين في مقطرة خشب، ومع ذلك لم يُعَاقًا أبدًا عن التسبيح.

لأنَّ مَن هو نَقِيُّ وَيَقِظ، ويحمل شوقًا ملتهبًا نحو الله ، لا يستطيع أي شيء على الإطلاق أنْ يعوقه عن الحديث معه. يقول الكتاب: «أَلَعَلِّي إِلهٌ مِنْ قَرِيبٍ، يَقُولُ الرَّبُّ، وَلَسْتُ إِلهًا مِنْ بَعِيدٍ.» (إرميا ٢٣:٢٣). ويقول في موضع آخر: «حِينَئِذٍ تَدْعُو فَيُحِيبُ الرَّبُّ. تَسْتَغِيثُ فَيَقُولُ: هَأَنَذَا.» (إشعيا ٨٥:٩). إذًا حيث يوجد الذِّهن النقيّ، يتحرَّر الفكر من القيود الجسديَّة، وينطلق نحو ذاك الذي يشتهيه، ويزدري بالأمور الأرضِيَّة، وبعدما يَصِل إلى فوق، أعلى مِنَ الأشياء المرئيَّة، يُسرِع نحو الله. هذا تحديدًا ما حدث مع بولس وسيلا.

لاحظ إذًا النتيجة المباشرة للتسبيح، وكيف أنَّهما، إنْ كانا داخل السجن، وَمُقَيَّدَيْن في مقطرة الخشب، ومتواجِدَيْن مع المحتالين والأشرار في مكانٍ واحد، ليس فقط لم يَنلَهُمَا أي أَذَى على الإطلاق، بل أَشْرَقًا أكثر، وأنارا كُلَّ مَن كان في السحن بنور فضيلتيهما. لأنَّ التسابيح المقدَّسة، دخلت إلى نفس كُلُّ مسجون، وأعادت تكوينه مرَّةً أُحرى. لَأَنَّه يقول: «فَحَدَثَ بَغْتَةً زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَتَّى تَزَعْزَعَتْ أَسَاسَاتُ السِّجْن، فَانْفَتَحَتْ فِي الْحَالِ الأَبْوَابُ كُلُّهَا، وَانْفَكَّتْ قُيُودُ الْجَمِيع.» (أع ٢١:١٦). أرأيتَ مدى قوَّة التسبيح؟ فلم يتمتَّع بالعزاء، مَن كَانَ يُسَبِّح فقط، لكن هذا التسبيح قد فَكَّ قيود المسحونين، لكي يظهر أنَّهُ من خلال تلك الحوادث ذاتما، كيف: «أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ» (رو ٨: ٢٨). ها هي ضربات، وسجن، وقيود في المقطرة الخشب، وحلَّادون، إلَّا أنَّ كُلَّ هذا صارَ سببًا للخير، ودافعًا لتحقيق النُصرة، ليس فقط لمن كانوا مُقَيَّدين داخل السجن، بل ولحافظ السحن ذاته. يقول: ﴿ وَلَمَّا اسْتَيْقَظَ حَافِظُ السِّحْنِ، وَرَأَى أَبْوَابَ السِّجْنِ مَفْتُوحَةً، اسْتَلَّ سَيْفَهُ وَكَانَ مُزْمِعًا أَنْ يَقْتُلَ نَفْسَهُ، ظَانًّا أَنَّ الْمَسْجُونِينَ قَدْ هَرَبُوا.» (أعمال ٢٧:١٦).

خلاص حافظ السجن:

أرجو أَنْ تنتبه هنا لحجَّة الله نحو البَشَر، والتي تتجاوز كُلَّ فكر. لماذا حدثَ كُلُّ هذا نحو منتصف الليل؟ ليس لأَيِّ سبب آخر. سوى أَنْ

يتمَّ الأمرُ في هدوء، وبلا صخب أو ضوضاء، ولكي يتحقَّق حلاص حافظ السجن. لأنَّه حين حدثت الزلزلة. وانفتحت الأبواب، وانفَكَّت قيود الجميع، لم يُسمَح لِأَيِّ أحدٍ بالهروب، لاحظ حكمة الله هنا أيضًا، لأنَّ كُلَّ الأمور التي حدثت، أي الزلزلة، والأبواب التي انفتحت، والقيود التي انفكَّت، تمَّت لكي يعرف الجميع من حلال هذه الأحداث التي وقعت، مَن هُما هذان اللذان كانا في السجن وقتذاك (أي بولس وسيلا)، وإخَّما لم يكونا أناسًا عاديين. ومع ذلك لم يُسمَح لأيِّ أحدٍ بالخروجِ أيْ خارجِ السجن، حتى لا يكونوا سببًا في تعرُّض حافظ السجن للمخاطر.

ومن جهةٍ أنَّ هذا أمرٌ حقيقي، إسمع كيف أنَّه عندما ظَنَّ فقط أهَّم هربوا، لعنَ حياته نفسها، لأنَّ سفر الأعمال يقول: «اسْتَلَّ سَيْفَهُ وَكَانَ هربوا، لعنَ حياته نفسها، لأنَّ سفر الأعمال يقول: «اسْتَلَّ سَيْفَهُ وَكَانَ يتمتَّع مُزْمِعًا أَنْ يَقْتُلُ نَفْسَهُ». لكن الطوباوي بولس الذي كان يتمتَّع بالشفافيَّة واليَقظةِ، أنقَذَ الحمَل من فم الوحش المفترس، إذْ نادى عليه بصوتٍ عظيم: «فنادَى بُولُسُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: «لاَ تَفْعَلْ بِنَفْسِكَ شَيْئًا رَدِيًّا! لأَنَّ جَمِيعَنَا ههُنَا!» (أع ٢٨:١٦). يا لهذا الإتضاع الفائق! لم يتباه بما حدث، لم يتعالَ على حافظ السحن، لم يقبل أنْ يتكلّم بأيِّ شيء مُبالغ فيه، لكنه حَسِبَ نفسه مع المسحونين، والجلّادين، والجلّادين، والأشرار، قائلًا: «جَمِيعَنَا ههُنَا!». أرأيت كيف أنَّهُ سلكَ بتواضع كبير، ولم يعتبر نفسه أبدًا أسمى من الأشرار الذين كانوا في السحن؟ لكن لاحظ كيف اقترب منه حافظ السحن فيما بعد، ليس باعتباره واحدًا لاحظ كيف اقترب منه حافظ السحن فيما بعد، ليس باعتباره واحدًا من الآخرين وسيلاً وهُو مُرْتَعِدٌ، ثُمَّ أَحْرَجَهُمَا وَقَالَ: «يَا سَيِّدَيَّ، مَاذَا يَنْبغي مَاذَا يَنْبغي أَخْلُصَ؟» (أع ٢١:٢٩ -٣٠).

لنفرح في الضيقات:

أرأيتم كيف «أنَّ الذين يُحبُّون الله كُلّ الأشياء تعمل معهم للحير؟ ». أرأيتم كيف تحطَّمت آلة الشيطان؟ وكيف صارت جميع حِيَلِهِ باطلة؟ ولأخَّما طردا الشيطان، فقد سعى لسجنهما، معتقدًا أنَّهُ بذلك يُعيقُ طريق الكرازة. لكن ها هو السجن قد صارَ لهما سببًا في الربح الرُّوحي. وبناءً على ذلك فنحنُ إن كُنَّا نتمتَّعُ بالشفافيَّة والنَّقاء، ليس فقط عندما نحيا في راحة وهدوء، لكن عندما نجتاز في الضيقات، نستطيع أنْ نربح الكثير، بل وأكثر جدًّا ثمَّا في حالة الرَّاحة. لأنَّ الراحة عند الأغلبيَّة مِعلنا أنقياء ومُستحقين مِنَّا، تجعلنا أنقياء ومُستحقين مَحلدًا في كُلِّ الضيقات والشدائد التي غرُّ بما أو نجتازها. إذًا ينبغي ألَّا فَحِن عندما نختر الضيقات والشدائد التي غرُّ بما أو نجتازها. إذًا ينبغي ألَّا غزن عندما نختر الضيقات والشدائد التي غرُّ بما أو نجتازها. إذًا ينبغي ألَّا في عندما نختر الضيقات والشدائد التي غرُّ بما أو نجتازها. إذًا ينبغي ألَّا في عندما نختر الضيقات والتحارب. بل لنفرح من أجلِ ذلك، لأنَّ غزن عندما غتر الضيقات والتحارب. بل لنفرح من أجلِ ذلك، لأنَّ هذا سيؤول إلى تقدمنا ونموِّنا في الرُّوح. ولذلك قال الرسول بولس: «ونحنُ نعلم أنَّ الذين يحبُّون الله. كل الأشياء تعمل معهم للخير».

لكن لِنرَ النفوس الملتهبة لهذين القديسين، عندما سمِعَا حافظ السجن وهو يقول: «مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ أَفْعَلَ لِكَيْ أَخْلُصَ؟»، هل أرْجَآ الأمر؟ هل تأخَّرا؟ هل أهملا في تقديم التعليم له؟ لم يحدث هذا أبدًا. لكن ماذا قالا له؟ قالا: «آمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَتَخْلُصَ أَنْتَ وَأَهْلُ

بَيْتِكَ» (أع ٣١:١٦).

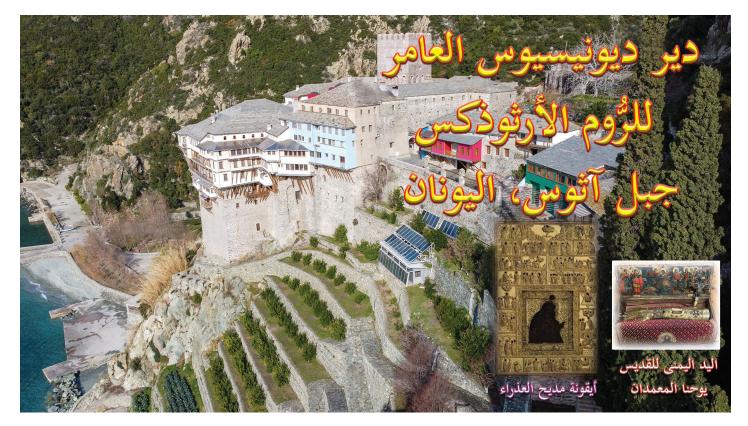
وانطلاقًا من هذا، نُعَلَّم بأنَّهُ يجب ألَّا نُؤجِّل أبدًا ٱتخاذ القرار في الأمورِ الرُّوحيَّة، ولا حتى لِلَحَظَاتِ قليلة، بل نعتبر دومًا أنَّ الفرصة التي تأتينا، هي الفرصة المناسِبَة، لأنَّ هذين القديسين لم يقبلًا التأجيل بالرغم من أنَّ الوقت كان ليلًا، فأيُّ مبرِّر سيكون لنا، نحن الذين في وقتٍ آخر، نتغافل عن الربح الرُّوحي؟ أرأيت كيف أنَّ السجن قد صارَ كنيسة؟ أرأيت كيف تحوَّل مكان الجلَّدين فجأةً إلى مكانٍ للصلاة، وأنَّ العبادة الكنسيَّة كانت تُؤدَّى هناك؟ كم هو عظيمٌ أن نكونَ أنقياء، وألَّا نتغافل أبدًا عن الربح الرُّوحي، بل نجعل كُلَّ فرصة مناسبة لهذه وألَّا نتغافل أبدًا عن الربح الرُّوحي، بل نجعل كُلَّ فرصة مناسبة لهذه التجارة الروحيَّة. ولذلك حسنًا قال الطوباوي بولس: «أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ التَّهَامُ مَعًا لِلْحَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ الله» (رو ٨: ٢٨).

الربح الروحي:

أرجو أنْ نحفر هذه العبارة في أذهاننا، وألَّا نحزن أبدًا عندما نحتاز الضيقات في هذه الحياة الحاضرة، أو نَمُرَّ بأمراضٍ حسديَّة، أو أَيَّةِ أمورٍ أُخرى مُؤسِفَة، بل يجب أنْ نتناول كُلَّ الأمور بحكمةٍ، ولنثبُت في مقاومة التحارب، عارفين أنَّ حياة التقوى تجعلنا نربح الكثير، بل وأكثر في حالةِ التحارب منه في حالة الرَّاحة. ويجب ألَّا نقلق أبدًا، مادُمنا نعرف مقدار الربح الذي يأتي من وراء الإحتمال والصبر، بل ولا نُبغِض أولئك الذين يُسبِّبونَ لنا هذه التحارب. لأنَّه حتى وإنْ كانَ أولئك يصنعون هذا، ساعِينَ بإصرارٍ نحو تحقيقِ هدفهم الشِّرير، لكن إلهنا هو الذي يسمح بذلك، لأنَّه يُريد لنا من خلال هؤلاء، أنْ نحنيَ الربح الذي يسمح بذلك، لأنَّه يُريد لنا من خلال هؤلاء، أنْ نحنيَ الربح الذي يسمح بذلك، لأنَّه يُريد لنا من خلال هؤلاء، أنْ نحنيَ الربح

إِذًا، إِنْ كُنَّا نستطيع أَنْ نحتملَ التجارب والضيقات بشُكرِ، فإنَّنا

سنمحي جزءًا كبيرًا من خطايانا. لأنّه إذا كان الرّبُ قد تحمّل أنْ يرى هذا الكنز (أي المملوء بكُلِّ هذا الغنى الرُّوحي) أي معلّم المسكونة، وهو يتعرّض كُلَّ يوم للمخاطر، ولا يزدري بجهاده، بل وبجعل جهاده أكثر، حتى يُعِدَّ له الأكاليل (التيجان) البهيّة، فماذا سنقول نحن المملوئين بخطايا لا حَصْر لها، والتي بسببها، نسقط مرّاتٍ عديدة في التجارب، حتى أنّنا بعدما نُدان عنها هنا في هذه الحياة الحاضرة، نكون أهلًا لحبّة الله، وأنْ نتمتّع في ذلك اليوم المخوف بتلك الخيرات الخفيّة؟ إذًا فلنُفكّر في هذه الأمور، ونثبت في مقاومة التجارب بِكُلِّ شجاعة، ونبتعد عن ارتكاب الخطايا، بل وَنَنْفُر منها، لكي ننال من الله محبّ البشر، أحر الصبر والاحتمال، وننال خيرات الحياة الأبديّة بالنعمة والرأفات، ومحبّة البشر التي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والرُّوح القُدس المحد والقُوّة والكرامة، الآن وكُلَّ أوان. وإلى دهر الدهور،



يقع دير ديونيسيُّو جنوب غرب شبه جزيرة آثوس، وهو مبنيٌّ على صخرة ضخمة لكن ضيِّقة وشديدة الانحدار. ترتفع هذه الصخرة حوالي ٨٠ مترًا عن سطح البحر. يبعُد الدير عن كارييس ٤ ساعات سيرًا على الأقدام.

تاريخ الدير

أَسَّسَ الدير القدّيس ديونيسيوس الذي من كورسيوس من كاستوريا في القرن ١٤. باشر البناء مع تلاميذه بوسائله المحدودة. ولكن صعوبة إتمام العمل أجبرته على طلب المساعدة من الأمبراطور ألكسيوس الثالث كومنينوس في تريبيزوند. تدخل متروبوليت تربيزوند ثيودوسيوس أخ القدّيس ديونيسيوس لدى الأمبراطور فحصل القدّيس بسرعة على المساعدة المرجُوَّة. في البدء أُعطي الدير سيولة بقدر حاجته ومن ثم خُصِّصَ له مبلغ سنوي. دعي الدير في ذلك الوقت دير الكومنينوس العظيم. استمرّ الأباطرة البيزنطيون بمساعدة الدير. وبعد احتلال الاتراك للقسطنطينية عام ١٤٥٣، حصل الدير على دعم الأمراء والملوك السلاقيِّين. حُرِّس الدير لميلاد القدّيس يوحنا المعمدان في ٢٤ حزيران.

من أهم ما يذكر في تاريخ الدير أنه في القرن ١٦ ترك البطريرك نيفون (يُعيَّد له في ١١ آب) عرشه ولجأ إلى دير الديونيسيُّو متخفيًّا. كان يلبس ثوب راهب بسيط. طلب الانضمام إلى الشَّركة. أُسندت إليه مهمّة سائس البهائم. ذات يوم، فيما كان يحفظ الحيوانات في الجبل، عاين رهبانٌ شعلة نار ترتفع إلى السماء ولاحظ أحدهم القديس في الصلاة وكلّه بهاء. عاد الراهب، بسرعة، إلى الدير لينقل الخبر. احتمع الرهبان في الكنيسة ليسألوا الله في أمر نيفون مَن تُراه يكون. ظهر القديس يوحنا السابق، شفيع الدير، للرئيس وأمره بإعداد العدّة المستقبال نيفون، بطريرك القسطنطينية. فلما عاد القدّيس إلى الدير في حُلّته البسيطة، كانت الشَّركة كلُّها في انتظاره بالباب، على قرع

الأجراس، بالشموع والبخور، إكرامًا لرتبته.

فلما طالعه المشهد انطرح أرضًا والدموع في عينيه، وسأل الإخوة الصفح لأنَّهُ خدعهم. شرح لهم أنَّ هذا كان لخلاص نفسه ولكي يجد رحمة في الدينونة، فإنَّهُ، هربًا من الكرامات الباطلة وهموم العالم جعل نفسه في خدمتهم كالأخير بينهم. فيما بعد، استمرَّ يخدم الشَّركة في الأمور الوضيعة عينها، مُعلمًا بالمثال الطيِّب التواضع، ومستأسرًا كُلَّ فكر جسدي لناموس الرُّوح بنُسُكِ فائق.

عام ١٥٧٤، احتل الدير المرتبة الخامسة، في الجبل المقدّس، بعد تراجع دير كزيروبوتامو بسبب ضيقاته الماليَّة. ما زال الدير يحتفظ بهذه المرتبة إلى اليوم. وهو من الأديرة القلَّة التي لم يثبت فيها النظام الإيديوريتمي طويلًا، فقط ما يقارب القرن ثم عاد إلى النظام الشركوي في العام ١٨٠٥ وبقى عليه.

معالم الدير

يشبه الدير من الخارج قلعة مُحَصَّنَةٌ مثل معظم الأديرة في الجبل. ولدى دخول الزائر إلى ساحة الدير يجدها صغيرة متعدِّدة الزوايا فيها الكاثوليكون (الكنيسة المركزيَّة) الذي تحيط به أزِقَّة ضيِّقة وقناطر. يعود ذلك إلى المساحة المحدودة التي بُنِيَ عليها الدير على رأس الصخرة.

كاثوليكون الدير مكرّس لعيد ميلاد السابق المجيد وقد رُمِّم ورُسمت حداريَّاتُهُ بين العامين ١٥٤٧-١٠٤٠. ساهم في ذلك الأمير بطرس السلاقي. يعلوه خمس قبب. داخل الكنيسة مظلم بعض الشيء لأن المباني المحيطة به تحجب الضوء. يتبع بناء الكاثوليكون الهندسة التقليدية للكاثوليكون في الجبل.

تقع قاعة الطعام إلى جنوب غرب الكاثوليكون. رسوم الحائط فيها ميزة وتعود إلى المدرسة الكريتيَّة: أيقونات القدّيسين بالطول الطبيعي

ومشاهد من استشهادهم، سقوط لوسيفر، رؤساء الملائكة القدِّيسون، السلَّم إلى الله، بالإضافة إلى ذلك صور من الإنجيل وعجائب الرَّبِّ يسوع ومقاطع من حياة القديس يوحنا المعمدان. في مدخل المائدة جدارياتٌ تمثّل نهاية العالم والدينونة الأخيرة.

إلى جانب قاعة الطعام يوجد البرج الذي يحوي الجرسِيَّة وهو مُقسَّم إلى ثلاثة طوابق. في الطابق العلوي توجد ساعة الدير القديمة.

وبسبب ضيق المساحة في باحة الدير لا يوجد حوض لتقدّيس الماء كما في سائر الأديرة.

مكتبة الدير محفوظة في مبنى جديد وتحوي حوالي ١١٠٠ مخطوطة وكتاب مخطوط، بالإضافة إلى أكثر من ٢٠٠٠ كتاب مطبوع.

من أهم كنوز الدير اليد اليمنى للسابق المجيد التي بما عمّد الرّب يسوع المسيح في الأردن بالإضافة إلى صليب فيه قطعة من الصليب المحيي. في كاثوليكون الدير قطع من عظام القدّيس نيفون موضوعة في علية ذخائر مغطاة بالفضة والذهب مزحرفة بشكل مميّز. إلى جانب ذلك يملك الدير الكثير من ذخائر القديسين وقطعة من سلسلة الرسول بطرس الذي حرَّره منها الملاك بشكل عجائبي عندما كان هيرودوس الملك مُزمعًا أن يقتله (يُعيَّد للسحود للسلسلة في ١٦ كانون الثاني). من أهم الأيقونات في الدير أيقونة والدة الإله عذراء المديح الأصلية وهي موجودة في كنيسة على اسمها.

في الدير ٨ كنائس أخرى غير الكاثوليكون بالإضافة إلى ٦ كنائس أخرى خارج الدير وتابعة له.

تابع لدير ديونيسِيُّو ٧ قالالي واحدة منها في كارييس وعدد من الكاتسماتات، وميتوخيون مونوكسيليتو (Monoxylitou).

أيقونة عذراء المديح

منقوشٌ على اللوح الفضي الذي على ظهر هذه الأيقونة:

الإمبراطور الكسيوس كومنينوس يعهد هذه الأيقونة إلى المغبوط ديونيسيوس، مؤسس الدير، لدى زيارة هذا الأخير تريبيزوند. هذه الأيقونة هي التي حملها البطريرك سيرجيوس حول أسوار مدينة القسطنطينية فصدت هجوم الفرس عام ٢٢٦ م والتي جرى ترنيم المديح أمامها لأول مرة بعد الأنتصار.

وقصة الأيقونة هي التالية:

تعود هذه الأيقونة المقدسة إلى القرن السابع الميلادي. سنة ٦٢٦ م نشبت حرب بين الرُّوم والفرس. استطاع الفرس أن يتقدموا حتى مدينة خلقيدونية. طمع الآفار، وهم قوم من البرابرة، بالاشتراك في الحرب ضد الرُّوم ظانين أنهم بهذا سيحصلون على غنائم جمَّة. اندفعوا إلى أسوار المدينة المتملِّكة، القسطنطينية. الإمبراطور هرقل، الذي كان متغيبًا عن العاصمة بسبب انشغاله بالحرب، جعل البطريرك المسكوني سرجيوس وصيًّا على ابنه ونائبه في الحُكم. إزآء الخطر المحدق بالعاصمة، هبَّ البطريرك بكل فصاحة وشجاعة يثير الهِمَم ويُشدِّد العزائم، ويدعو المحاصرين إلى التوكُّل على الله ووالدته الفائقة القداسة بقوله لهم:

« تشجعوا يا اولادي فإن رجاءنا بالنجاة مُلقىً على الله وحده ونحن رافعون إليه من كل قلوبنا ونفوسنا أيدينا وأبصارنا. هو الذي يُبدِّد المصائب والنكبات النازلة بنا ويدمِّر مظالم أعدائنا».

وأخذ البطريرك يطوف مع الشعب شوارع المدينة ويدور حول أسوارها، حاملًا أيقونة المخلص وأيقونة والدة الإله المقدسة مناجيًا وباكيًا هكذا: «قم يا الله وليتبدد أعداؤك وليبيدوا كالدخان ويذوبوا كالشمع من أمام وجهك» (مز٢٧: ١). أصبح البطريرك على حسب تعبير أحد المعاصرين «خوذة العاصمة ودرعها وسيفها». ويقول فيه معاصر آخر:

«إنَّ البطريرك ما فئ يواجه قوات الظلمة والفساد بأيقونتَي المخلِّص والسيدة العذراء حتى زرع في قلوب الأعداء الرعب والخوف. فكانوا كلما عرض البطريرك من الأسوار أيقونة الشفيعة حامية العاصمة أعرضوا هم عن النظر إليها».

أتمّ زعيم الأعداء كل ما يلزم لتهيئة الهجوم. ملأ خليج القرن الذهبي (خليج القسطنطينيَّة) بالسفن وحاصر الأسوار بالعساكر المشاة. ثم أمر بالهجوم على المدينة. ردّ الجنود المستعينون بالمخلص ووالدته بشجاعة هجمات العدو الغادر. امتلأ ميدان القتال بجثث البرابرة، وفي الوقت عينه عصفت ريح عاتية جعلت البحر هائجًا مائجًا، الأمر الذى أدى إلى إغراق معظم سفن الأعداء وتحطّمها.

فتح شعب القسطنطينيَّة أبواب المدينة وطارد البرابرة إلى معسكرهم. عند ذلك أحرق الأعداء جميع الآلات التي كانوا قد جاؤوا بما لتهديم أسوار المدينة وتقهقروا ومعهم الجيش الفارسي الذي مُني هو أيضًا بخسائر فادحة لمشاركته بالحملة.

أما الشعب المتعزي بمعونة والدة الإله السريعة الإجابة فرنّم أمام أيقونتها المقدّسة:

«إني أنا مدينتك يا والدة الإله أكتب لك رايات الغلبة يا جندية محامية وأقدّم لك الشكر يا منقذة من الشدائد لكن بما أنَّ لك العزَّة التي لا تحارب أعتقيني من صنوف الشدائد حتى أصرخ إليك، افرحي يا عروسا لا عروس لها».

وَأَحْيَى الليل كلَّه واقفًا على الأقدام مُصليًّا ومرنِّمًا للشفيعة السَّماوية نشائد المديح والشكر.

تذكارًا لهذا الانتصار والانتصارات الأخرى الممنوحة بمساعدة والدة الإله حدّدت الكنيسة المقدسة عيد مديح والدة الإله الفائقة القداسة في يوم السبت من الأسبوع الخامس من الصوم الكبير كُلّ سنة، حين تُرنّم خدمة مديح العذراء الفائقة النقاوة المسمّاة (أكاثيسطون) أي (التي لا يُجلسون فيها/ بدون جلوس) لأنَّ الشعب رتلّ هذه النشائد الشريفة في البدء واقفًا الليل بطوله.

كان يُحتفل بالمديح هذا في كنيسة البلاط الإمبراطوري حيث خُفظت أيقونة والدة الإله القائدة العجائبيَّة مع ثوبها وزنّارها الشريفين وفي المكان الذي أقام الشعب الصلاة ساهرًا ليلة هجوم الآفاريين والفرس على مدينة القسطنطينيَّة. في القرن التاسع أُثبتَ هذا العيد في قوانين ديرَيْ سابا المتقدّس وستوديون، ومنهما انتقل إلى كتاب

التربودي الذي يضم صلوات الصوم الأربعيني المقدس. وهكذا عمَّ المديح الكنيسة الشرقية جمعاء.

اشتهرت هذه الأيقونة بجريان الميرون الذكي الرائحة منها. هي صغيرة الحجم وقاتمة لذلك فإنَّ تمييز تفاصيلها صعب. الأيقونة موجودة في كنيسة على اسمها في دير ديونيسِيُّو حيث يُتلى المديح يوميًّا. تعرَّضت للسرقة مرتين، المرة الأولى كانت سنة ١٩٩٢ والمرة الثانية كانت سنة ١٧٦٧ وفي المرتين اضطر سارقوها إلى إعادتما للدير.

في سنة ١٥٩٢ هاجمت مجموعة من القراصنة دير القديس ديونيسيوس وسرقت الأيقونة المباركة ووضعتها في صندوق بعد تغطيتها بأغطية كثيرة وأبحرت مسرورة بما فعلت. وما أن ابتعدت السفينة عن الشاطئ حتى تتالت ظهورات والدة الإله لزعيم القراصنة قائلة له: «لماذا وضعتني في السجن أيها الرجل الشّرير؟ أرجعني إلى مسكني الذي أقيم فيه بهدوء وسلام».

ولمَّا لم يُبالِ الزَّعيم بكلامها، قامت عاصفة هوجاء مفاحئة وتمدَّدت

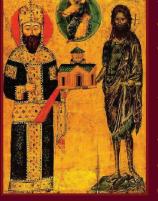
السفينة بالهلاك. فعاد الزَّعيم إلى نفسه وتذكر ظهور العذراء له فأسرع إلى الصندوق الذي وُضعت فيه الأيقونة فألفاه محطَّمًا إلى قطع صغيرة والأيقونة مبلَّلة بالميرون الطيب العرف مع الأغطية التي عليها. وما إنْ رفع الأيقونة بيديه المرتحفتين حتى سكنت الريح وهدأت العاصفة. للحالِ عاد اللصوص أدراجهم إلى الشاطئ وأرجعوا الأيقونة إلى الدير. هذه الحادثة دفعت العديد من القراصنة إلى التوبة والعودة إلى الله تاركين لصوصيتهم الأثيمة، فاعتمدوا وقد بقي قسمٌ منهم في الدير وترهَّب.

أما في العام ١٧٦٧، فقد سرقت عصابة من دالماتيا الأيقونة بحدَّدًا، وفي طريق عودة العصابة إلى مقرِّها، لاحظها بعض الرعاة اليونانيين فأخذوا منها الأيقونة ووضعوها في جزيرة سكوبوليس. رفض مشايخ القرية إعادة الأيقونة لرهبان دير الديونيسيُّو. وما إنْ مرَّ ثلاثة أشهر عُوقبت المنطقة بوباء الطاعون، فأدرك السكان خطأهم وتابوا وأعادوا الأيقونة إلى الدير ووهبوا دير ديونيسيوس، ميتوخيون في جزيرتهم. (ميتوخيون تعنى قطعة أرض مع كنيسة يسكنها ويعمل فيها الرهبان).

أيقونة المديح العجائبيَّة التي رسمها القديس لوقا الإنجيليِّ

ورفع إليها المديح والابتهال، البطريرك سرجيوس، طالبًا من العذراء المعونة والحماية إذ عمل بها زُيَّاح حول أسوار مدينة القسطنطينيَّة لصدِّ هجوم العرب والبرابرة وقبائل الآفار

لقد أهدى الإمبراطور الكسيوس كومنينوس إلى الدير أيقونتين. في الأولى يصوَّر هو والقديس يوحنا السابق، وفي الثانية يصوِّر العذراء الأكاثستوسيَّة (التي لا يجلس فيها). وهي أيقونة عجائبيَّة، وهي من أقدم أيقونات السيدة العذراء مريم في الإيمان والتقليد الرُّومي



الأرثوذكسي، والأقدم على جبل آثوس قاطبةً.

إنه من عمل القديس لوقا الإنجيلي، وقد رفع هذه الأيقونة البطريرك سرجيوس عام 626 أثناء حصار العرب والبرابرة والآفار لمدينة القسطنطينيَّة.

والأيقونة مصنوعة من الشمع المصطكي، وهي تنضح من وقت لآخر بالمُرِّ والطيب الذكيّ. ولهذا السبب تظل خصائصها غير قابلة للتمييز. وعلى ظهر الأيقونة العجائبيَّة، وعلى طبق من الفضة، يصوَّر الإمبراطور ألكسيوس الثالث الكبير وهو يعطي الأيقونة للقديس ديونيسيوس مؤسس الدير أثناء لقائهما في طرابيزون (آسيا الصغرى) عام 1374.



الذَّخائر المقدِّسة في دير ديونيسيوس العامر



يد القُديس يُوحَنَّا المعمدان اليمني، التي وضعها على رأس السيّد المسيح عند اعتماده في نهر الأردن



دُخائر القديسين: 4 3 2 1 نيفون، فيلوثيوس، نيفوذيموس وچيئاديوس



كنيسة صغيرة مُذَهَّبة تحوي دُخائر القديس نيفون



دْخَائر القديس جوارجيوس اللابس حلَّة الظفر



يد القديسة باراسكيڤي اليُمنى



دْخيرة أصليَّة من الصليب المقدّس



المرسوم الإمبراطوري الذهبي لدعم الدير المقدس



نهاية العالم، أيقونة جداريّة فتح الختم السابع



وصلَ إلى مسامعي أنَّك تعتبر عظاتي صارمة للغاية، وتعتقد أنَّ اليوم، أي في هذا المنوال، وألَّا يعيش على هذا المنوال، وألَّا يعيش على هذا النحو، وألَّا يدرس بهذه الطريقة، مؤكِّدًا بأنّ: «الزمن قد تَغَيَّر».

لقد سُرِرْتُ لسماعي هذا، لأنَّهُ يعني أنَّك تصغي بِتَمَعُّنِ إلى ما أقول، وليس فقط تستمع، ولكنَّكَ على استعداد، أيضًا، لِتَتَقَيَّد بكلامي، وإزاء هذا الأمر ماذا نتمنَّى أكثر من ذلك نحن الذين أُمِرْنا بأن نَعِظَ؟! على الرغم من كُلِّ هذا، لا يمكنني، بأيِّ حالٍ من الأحوالِ، أن أوافقك الرأي، بل أرى من واحبي أنْ أُصحِحّ لكَ رأيك، مع أنَّهُ قد يتعارض ورغبتك وقناعتك، فأقول:

أنَّ تُغَيِّر المسيحِيَّة في بعض عقائدها وشرائعها المقدِّسة لتأتي موافقة لروح العصر، وأن تُكيِّف نفسها لتتطابق مع أذواق أبناء هذا الدهر الدائمة التغيير والتبدُّل، تكون كما لو أضافت أو حذفت كُلِّ ما يأتي من الشرير أو ما يُوحِي به.

المسيحِيَّة ليست هكذا. المسيحِيَّة ثابتة إلى الأبد، ولا تعتمد أو تسترشد من روح أيِّ عصرٍ بأيِّ حالٍ من الأحوال. المسيحِيَّة تعدف إلى توجيه روح العصر إلى طاعة تعاليمها. ولإقناعك بهذا، سوف أطرح بعض الأفكار عساك تأخذها بعين الاعتبار:

يقول البعض إنَّ تعاليمي صارمة. يجب أنْ تَعلمَ أَوَّلًا، أنَّ هذه التعاليم ليست تعاليمي، ولا ينبغي أنْ تكونَ، إذ لا يستطيع أحد من هذا المنصب المقدَّس أنْ يعظَ بتعاليمه. وإذا تجرَّأتُ أنا، أو أيّ شخص آخر، على القيام بهذا، يمكنك، عندئذ، أن تخرجنا خارج الكنيسة.

غن نكرز بتعاليم ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح، تعاليم الرسل الأطهار، تعاليم الكنيسة المقدّسة، التي يقودها الرُّوح القُدُس. وفي الوقت ذاته، غن على ثقة تامّة، بأنَّ الكنيسة تقوم بكلِّ ما هو ممكن للحفاظ على هذه التعاليم كاملة غير منتهكة، حتى تَتَغلْغَل في عقولكم وقلوبكم. ولذلك، فنحن ثُقدِّم كلِّ فكرة بدقة متناهية، ونستعمل كل كلمة بحذرٍ شديد، حتى لا تسود أفكارنا الشخصِيَّة على هذا التعليم الإلهي الرائع بأيّ شكل من الأشكال، ولا يمكن لأحدٍ التصرُّف بخلاف ذلك.

يُطلب من كُلِّ واعظ في الكنيسة أنْ يكون: «مُرسلًا من الله»، فالنبيّ

موسى، بعدما تَسلَّم الوصايا من الله نفسه، ودفعها إلى شعب إسرائيل، ختم كلامه قائلًا: «لاَ تَزِيدُوا عَلَى الْكَلاَمِ الَّذِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهِ وَلاَ تُنقِّصُوا مِنْهُ، لِكَيْ تَخْفَظُوا وَصَايَا الرَّبِّ إِلْهِكُمُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِعَا.» (تثنية ٤:٢).

إنَّ هذه الوصِيَّة ثابتة غير قابلة للتغيير لدرجة أنَّ الرَّبَّ والمخلَّص نفسه قال عندماكان يعلم الشعب على الجبل: «لا تَظُنُّوا أَنِّ جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَو الأَنْبِيَاءُ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحُقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ.» (متّى ٥: ١٨-١٧). كما أعطى الصفات عينها لتعاليمه عندما أضاف: « فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هذِهِ الْوَصَايَا الصُّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهذَا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلكُوتِ السَّمَاوَاتِ.» (متّى ٥: ١٩). وهذا يعني أنّ أيّ شخص يفسّر وصايا الله بشكل خاطئ، أو يُقَلِّل من صحّتها، يكون منبوذًا في الحياة الأخرى. وهذا ما أكَّده القدّيس يوحنّا اللَّاهوتيّ حين كتب في سفر الرؤيا: «لأَنِّي أَشْهَدُ لِكُلِّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالَ نُبُوَّةِ هَذَا الْكِتَابِ: إِنْ كَانَ أَحَدُ يَزِيدُ عَلَى هذَا، يَزِيدُ اللهُ عَلَيْهِ الْضَّرَبَاتِ الْمَكْتُوبَةَ فِي هذَا الْكِتَابِ. وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْذِفُ مِنْ أَقْوَالِ كِتَابِ هذِهِ النُّبُوَّةِ، يَحْذِفُ اللهُ نَصِيبَهُ مِنْ سِفْرِ الْحَيَاةِ، وَمِنَ الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَمِنَ الْمَكْتُوبِ فِي هذَا الْكِتَابِ.» (رؤ ۲۲: ۱۸-۱۹).

أوصى المسيح من بدء ظهوره في العالم، وحتى الجيء الثاني، الرسل الأطهار وخلفاءهم قائلًا لهم: «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ...» (متى ۲۸: ۱۹–۲۰). وكأنّه يريد أن يقول: «أنت تُعلِّم ليس ما يمكن أن تتصوَّره، بل ما أَمَرْتُ أنا به، وذلك ثابت إلى نهاية العالم» ، ثمّ يضيف: «وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْر». آمِينَ.» (متى ۲۸: ۲۰).

تلقَّى الرسل هذه الوصيَّة، وضَحَّوا بأرواحهم من أجل الحفاظ عليها، وعندما أراد البعض منعهم عن الوعظ، راحوا يعظون تحت تحديد العقاب والموت، قائلين: «إِنْ كَانَ حَقًّا أَمَامَ اللهِ أَنْ نَسْمَعَ لَكُمْ أَكْثَرَ

مِنَ اللهِ، فَاحْكُمُوا. لأَنَّنَا نَحْنُ لاَ يُمْكِنُنَا أَنْ لاَ نَتَكَلَّمَ مِمَا رَأَيْنَا وَسَمِعْنَا» (أع ٤: ١٩-٢٠).

ولقد تمَّ تسليم هذه الوصِيَّة الواضحة من الرُسل إلى خلفائهم، وقد كان لها أيمًا تأثير في كنيسة الله، حتى إنمّا أضحت ركيزة الكنيسة وأساس الحقّ. فهل، بعد ذلك، من يملك الجرأة للإخلال في شيء من تعاليم العقيدة المسيحيَّة أو قوانينها؟

جاء بعد هذا لوثر، وكان رجُلًا ذكيًّا عنيدًا، وقال: «لقد غير البابا كلّ شيء، ووفق مراده، فلماذا لا أفعل أنا الشيء نفسه؟». وهكذا بدأ بتعديل كلّ ما أراد وفق طريقته الخاصة، وبمذه الطريقة أنشأ الإيمان اللوثري الجديد، التي يشبه قليلًا ما أمر به الرَّب، وما سلّمنا الله السا.

وبعد لوثر أتى الفلاسفة الذين قالوا بدورهم: «بما أنّ لوثر أنشأ لنفسه إيمانًا جديدًا، مُدَّعيًا أنّه يقوم على أساس الإنجيل، مع أنّه في الواقع، يعتمد على منهجه الخاصّ في التفكير، فلماذا، إذًا، لا نُؤلف، نحن أيضًا، عقائد بحسب طريقتنا الخاصّة بالتفكير، ونتجاهل الإنجيل كليًّا؟». وبدأوا، بالفعل، يفسرون منطقيًّا كُلَّا من الله والعالم والإنسان، كلّ فيلسوف على طريقته الخاصّة به. فأتت العقائد خليطًا ومزيجًا يشعر المرء بدوار لدى قراءتها.

وقام، الآن، المجتمع الغربيّ ليقول: «آمن بالذي تعتقد هو الأفضل. عِشْ كما تحبّ وتريد. اخضع لكلّ ما يأسر روحك ويجذبه».

وهكذا بات الناس لا يعترفون بأيِّ قانون أو قيود، ولا يلتزمون بكلمة الله وإنجيله. طريقهم واسع، فحميع العقبات أزيحت من دربهم، ولكنّ الطريق الواسع الرَّحب السهل يؤدّي إلى الهلاك وفقًا لما يعلّمه الرَّبّ. هذا ما أدّى إليه التساهل في التعليم!!

يا رَبُّ، جُنّا من هذا الطريق الواسع، فمن الأفضل أن نحبَّ كُلَّ صعوبة يسمح بما الرَّبِ لحلاصنا من أنْ نعتنق السير في الطريق السهل. لِنَتَمَسَّكَنَّ بعقيدتنا المسيحِيَّة، ولنُرغِم أذهاننا على فهمها والغوص فيها غير مُؤْثرين غيرها. لنُحِبَّنَّ طقوس كنيستنا وحِدَمها التي تُرشدنا وتُصحِّح مسيرتنا وتُقدِّسنا. ولِنتعَمَقَنَّ فيها، لأخّا تُحوِّل رغباتنا الدُنيويّة الفانية إلى أحرى سماويّة خالدة. دعونا نحبّ الأخلاق المسيحيَّة ولنجبر إرادتنا على تبنيها، والتصرُّف بموجبها، حاملين نير المسيح الخفيف بكلِّ تواضع وصبر.

دعونا نسجن أنفسنا كما لو كنّا في قفص، أو بالأحرى دعونا نجرً أنفسنا كما لو كنّا! انعبر ممرًّا ضيّقًا بحيث لا يمكن لأحد التلقُّت إلى اليسار أو إلى اليمين، فإنّه لاشك، في المقابل، سوف نحصل على ملكوت السماوات. هذه هي مملكة الرّب، وهذا هو الطريق الضيّق الضاغط الذي قال عنه الرّب: «أدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ، لأَنَّهُ وَاسِعُ الْبَابُ وَرَحْبُ الطَّرِيقُ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْهَلاَكِ، وَكَثِيرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَدُولُونَ مِنْهُ! مَا أَضْيَقَ الْبَابِ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْهَلاَكِ، وَكَثِيرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَدُولُونَ مِنْهُ! مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْمُلاَكِ، يَوُدِّي إِلَى الْمُكاوَنَ هُمُ الَّذِينَ يَجُدُونَهُ!» (متى ١٣:٧ - ١٤).

أفهمتَ الآن، لماذا الإصرار على الحقّ؟! فلا تقلق إذًا، إذا كان تعليمنا يبدو صارمًا. الأمر الوحيد الذي يجب أنْ تتأكّد منه هو أنّه آتٍ من قِبَلِ الرّبّ. وبعد أنْ تتأكّد، اقبله من كُلِّ قلبك، مهما كان صارمًا أو مُتشدّدًا. لا تتجنّب المعاملة الخاصّة والتساهل مع العقيدة والأخلاق، فقط، وإنّما اهرب من هذا كَهَرَبكَ من نار جهتم. أمّا من يؤكّد لنا بأنّ ما يعتقد بخلاف ما نعلّم به هو صحيح، ويجذب معه الضعفاء روحيًّا ليتبعوه إلى...جهتم، فليفعل. آمين.

* مقالة مترجمة عن الإنكليزية عن موقع:

Http://www.impantokratoros.gr

النسر والديك - القديس سلوان الآثوسي 🔋

حَلَّق النسر في الأعالي، كان فَرِحًا بجمال الكون ويُفكِّر: « إِنِّ أُحلِّق فوق أمداء واسعة جدًّا وأُشاهد الوديان والجبال والبحار والينابيع والمراعي والغابات، وأشاهد حشد الحيوانات والعصافير وأرى القُرى والمدائن، وكيف يحيا البشر، لكن الديك في المراعي لا يعرف شيئًا إلَّا حدود مزرعته حيث يعيش ولا يرى إلَّا بعض الناس والحيوانات. سأطير صوبه لأخبره عن حياة العالم».

وطار النسر لِيَحُطَّ على قرميد سقف مزرعةٍ، فرأى كيف كان يتمشى الديك بجرأة ويفرح وسط دجاجاته وفكر:

«أتراه مُكتفيًا بما عنده! ولكن، مع هذا، سأحدثه بما أعرف». وأخذ النسر بإخبار الديك عن جمال وغنى العالم. في أول الحديث، أصغى الديك بانتباه، لكنه لم يفهم شيئًا. وإذ لاحظ النسر أنَّ الديك لا يفقه شيئًا، حزن، وصار الحديث مع الديك مؤلمًا. والديك من جهته، إذ لم يفهم ماكان يخبِّر به النسر، سَئِمَ، من سماع حكايات النسر ... لكن كُلَّ منهما أكمل حياته راضيًا.

هذا هو ما يحدث وأكثر عندما يُكلِّم الإنسان الروحي الإنسان غير الرُّوحي أو المادي.

إنَّ الإنسان الرُّوحي شبيه بالنسر، أما المادي فشبيه بالديك. إنَّ نفس الإنسان الرُّوحاني تتفقَّه ليل نهار من الأحكام الإلهيَّة وترفع ذاتها نحو الله بالصلاة. أما نفس الإنسان المادي فمرتبطة بالدنيويات، بالتراب أو هي قلقة دائمًا بالهواجس والأفكار.

إنَّ روح الإنسان الرُّوحاني تتهلَّل وتفرح وهي دومًا في سلام، أمَّا روح الإنسان المادي فتبقى خاوية فارغة ويائسة.

إنَّ الإنسان الرُّوحاني يطير مُحلِّقًا كالنسر في الأعالي، فتشعر روحه محضرة الله ويعاين الكون كلَّه، حتى عندما يصلِّي في الظلمة وفي الليل. أمَّا الإنسان المادي فيفرح ويتهلل بالزهو والاستكبار أو بالغنى ويسعى باحثًا عن الملذات الجسديَّة.

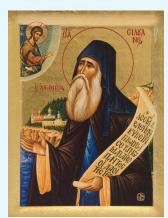
وإذْ يلتقي الإنسان الرُّوحاني بالإنسان المهتم بالدنيويات، يسأم كل منهما من الآخر، ويصبح التواصل بينهما مؤلمًا.



- الصلاة ليست كالعَجَلَةِ الاحتياطيَّة تستعمل فقط عند الحاجة ؟؟؟ بل إغَّا المقود الذي يستعمل في توجيه الحياة...
- هل تعلم لماذا الزجاج الأمامي للسيارة كبير، في حين أنَّ مرآة النظر الى الخلف صغيره؟؟؟. لأن ماضينا ليس مُهِمًّا مثل مستقبلنا... لهذا انظر للأمام ودع حياتك تتحرَّك.
- الصداقه أشبه بالكتاب! تحتاج لثوانٍ معدودة لحرقِهِ؟ لكنك تحتاج سنين لكتابته!!
- كُلُّ الأشياء في هذه الحياة هي وقتيَّة.. وهي لا تدوم.. فإذا كانت تسير بصورة خاطئة كانت تسير بصورة خاطئة فلا تقلق.. فإذا كانت تشير بصورة خاطئة فلا تقلق.. فإنها لن تبقى طويلا...

- الأصدقاءُ القُدامي كالذَّهَبِ. والأصدقاء الجدُد كالماس. فإذا حصلتَ على الماسِ فلا تنسَ الذَّهب!! لأنه حتى تحمل قطعة الماس.. فإنك تحتاج إلى قاعدة من الذَّهب.
- دائمًا عندما تفقد الأمل... وتعتقد أنها النهاية فتذكر: « أنها مجرَّد منعطف.. وأنها ليست النهاية.».
- عندما تدعُو للآخرين فإنَّ الله يسمع إليك، ويرحم من تدعُو لهم .. فإذا كنتَ بأمان وسعيدًا، فأعلم أنَّ هنالك شخصًا ما ربما يدعو لك ...
- القلق سوف لن يمنع مشاكل غدًا.. ولكنه سوف يأخذ سلام وراحة اليوم.. فلا تقلق.. واستمتع بحقِّك من يومك ...

القديس سلوان الآثوسي



وُلِدَ القدِّيس سلوان الآثوسي في إحدى قُرى مقاطعة طامبوف، في روسيا الوسطى، عام ١٨٦٦م. اسمه المدني كان سمعان ايفانوفيتش انطونوف، وعائلته عاميَّة فلَّاحة، كان إنسانًا بسيطًا، قويَّ البُنية، من أكثر الذين أثَّروا في حياته والده الذي وصفه سلوان: بأنَّهُ كان: رجُلًا حكيمًا، حليمًا، لطيفًا،

هادئًا، صبورًا.

في التاسعة عشرة من عمره احتدَّت روح الله فيه فكان كثير الصلاة، يبكي خطاياه. واستمر هكذا ثلاثة أشهر. مذ ذاك، اجَّه ذهنه ناحية الرَّهبنة، لكنه انتظر نماية خدمته العسكريَّة. ووصل إلى دير القديس بندلايمون في جبل آثوس في خريف ١٨٩٢، هناك سلك في الطريقة التي يسلك فيها جميع الرُّهبان: صلوات في القلاية، صلوات في الكنيسة، أصوام، أسهار، اعترافات، مناولة، قراءة، عمل وطاعة. شهادات الرهبان عنه كانت طيِّبة. خَدَمَ في

مطحنة الدير. قلَّة عرفته معرفة جيِّدة. ومن هذه القلة تلميذه الأرشمندريت صفروني (سخاروف) الذي كتب سيرته وجمع أقواله واهتم بإبراز قداسة سيرته إلى أنْ أعلن المجمع المقَدَّس القسطنطيني قداسته في تشرين الثاني عام ١٩٨٧.

حياته كانت مسترة كما هو حال الرهبان عمومًا. هناك، في غربة عن عيون الناس، دارت فصول حياة القدِّيس سلوان. جاء في بروتوكول إعلان قداسته الذي صَدَرَ عن البطريرك المسكوني ديمتريوس والمجمع القسطنطيني المقدس: «... تَفَوَّقَ... في الفضيلة، جاعلًا نفسه بالورع وقداسة السيرة أغوذج حياة في المسيح يُحتذى وإيقونة حية للفضيلة... أظهر نفسه مُعلِّمًا رسوليًّا المنيسة وللمؤمنين... بلغ قامة روحيَّة عالية وأضحى إناءً للرُّوح القدس، يمارس محبة نادرة... شرَّفه الله بمواهب شفاء المرضى والمتألمين وبحدس عجيب».

من أقواله المأثورة:

إذا أصابتك شدَّة فقُلْ: إنَّ السيد يعرف قلبي، فإذا كان هذا ما يرضيه، فكل شيء سيكون حسنًا لي وللآخرين.

لنا أن نتعلّم عن أمور الأرض بعقلنا، أمّا معرفة الله، والأمور السّماويّة، فتصير بالرّوح القدُس وحدَه، ولا يمكن تعلّمها بالعقل.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

خوندروبولوهر (المرة) (الخس

الفصل الثلاثون

(تتمة من العدد السَّابق)

كماكتب إلى الأخت كساني في رسالته السادسة والعشرين:

« أنصَحُكِ بعَدَم الاسترسال في الرومنطيقيَّة الحزينة، وفي الكآبة التي تحرح قلوب الراهبات بشكلِ خطير. إنَّ الرَّبَّ سيُجزِل لكِ المُكافأة إذا كنتِ لَمُنَّ مصدر فرح. إنِّي أُقَدِّم لكِ هذه الوصيَّة، لأنِّي قد جعلتها أيضًا قاعدة لحياتي، وأريد أن تَتَّبع تلميذاتي المبدأ نفسه. فإذا أفرَحتِ قلب قريبك، وخصوصًا

أُحتُكِ المحرومة من كُلِّ شيء، والتي لا يُمكن أن تَستَمدَّ الفرح الرُّوحي إلَّا منكِ، فكوني على ثِقة أنَّكِ بهذا تروقين للرَّب أكثر بكثير ممَّا إذا أدَّيتِ الصلوات الطويلة، والأصوام الصعبة ... أرجو لكُنَّ جميعًا الانتصار في حَرِبِكُنَّ ضِدَّ الأنانيَّة، وهي شرسة. فالأنانيَّة تُشبه التنّين المتعدِّد الرؤوس. فإذا قطعتِ له رأسًا نبَتَ آخر من نوع جديد وبشكلِ مختلف. وهكذا وبينما ننجح في ترك العالم حتى لا نعِّيش وفق إرادته، نعاين فجأة ظهور نوع من مرض النفس: هذا المرض يظهر في أغلب الأحيان على هيئة روِّح الشَكِّ والعصيان، ويتشكّل بشكل الصواب والذكاء والحكمة والرضى عن الذَّات، وروح النَقد. لكن أيُّها نَذكُر أولًا؟ فَتَحْتَ (خلف) هذه المظاهر يختبيء قبحُ الأنانيَّة...».

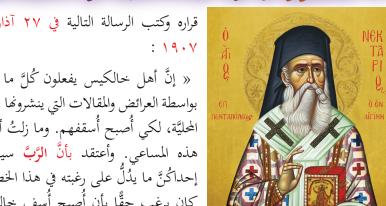
وقد تضَمَّنت رسالته السابعة والعشرون، إلى جانب بعض النصائح الجديدة، خبر نشر كتاب «والدة الإله» (ثيوطوكاريون)، وجاء فيها:

« إنَّ كتاب «والدة الإله» هو الآن تحت الطبع وهذه هي الطبعة الثانية (وهو كتاب من ستَ عشرة صفحة). وأُرسل لكنَّ اليوم مؤلَّفي الأخير المطبوع «كتاب الكاهن» ... وسنرى اذا أعجبَكُنَّ الأسلوب ...».

في تلك الحقبة بالذَّات شغر المنصب الأُسقفي في خالكيس. ولم يَكُن سكان المنطقة قد نسوا مرور نكتاريوس فيها بعد مرور سنواتٍ كثيرة. فاجتمع الناس بأعدادٍ كثيرة، وقاموا بالمساعى الضروريَّة، وطلبوا أنْ يُصبح نكتاريوس أُسقفًا عليهم. وقد كتبوا العرائض للمسؤولين، وجمعوا التوقيعات في لوائح طويلة، ونشروا المقالات بمذا الخصوص في الصحيفة المحليَّة. وقد تسلُّم نكتاريوس أيضًا عددًا من الرسائل من هناك. وعادَ من حديد ليغرق في الانتظار والشَكِّ بطريقَةٍ لم يكُن يتوقعها.

وراحَ يُصَلِّى من أعماق القلب ليلَ نهار، وهو يفكِّر في تلميذاته الفقيرات هناك. ماذا سَيَحُلُّ بِمِنَّ إذا ...؟ وإن كانت هذه هي إرادة

لكنه لم يسأل نفسه مرّة أُخرى عن إرادة الرَّبِّ المُحسِن. إنَّهُ يُدبِّر كُلَّ شيء بعنايته الإلهيَّة، ويعمل لأجلِ خير الجميع. لذلك أخذَ نكتاريوس



قراره وكتب الرسالة التالية في ٢٧ آذار من العام

« إِنَّ أهل خالكيس يفعلون كُلَّ ما في وسعهم بواسطة العرائض والمقالات التي ينشرونها في الصحيفة المحليَّة، لكي أُصبح أُسقفهم. وما زلتُ أجهل نتائج هذه المساعي. وأعتقد بأنَّ الرَّبِّ سيكشف إلى إحداكُنَّ ما يَدُلُّ على رغبته في هذا الخصوص، وإنْ كان يرغب حقًّا بأن أُصبح أُسف خالكيس. فإن كانت هذه مشيئته، إذًا فلتكن مشيئته».

وحدثت مواجهة عاصفة بين الشعب والسلطات

بَقِيَ نكتاريوس في أثنائها هادئًا وديعًا ينتظر دون أنْ يُحَرِّك ساكنًا. إنَّ الشعب بالنسبة إلى رجال الكنيسة المسيطرين هو كالنهر الذي لا يُشَكِّل خَطرًا فهم يدعونه يجري، وفي النهاية يُحوِّلون مجراه الى المكان الذي يُريدون. إلَّا أنَّ الرَّبِّ القدوس يحمى دائمًا مختاريه في هذه الحالات، ويفعل ما يُريد بطريقَةِ أُخرى.

لم يَكُن ذوو السلطة يُريدونه بأَيِّ حالِ من الأحوال، لأنَّه كان رجُلًا مستقيمًا، نَقِّي القلب؛ ورَفضوا أن يُؤكِّلوا إليه مَنصِبًا هامًّا في قلب الكنىسة.

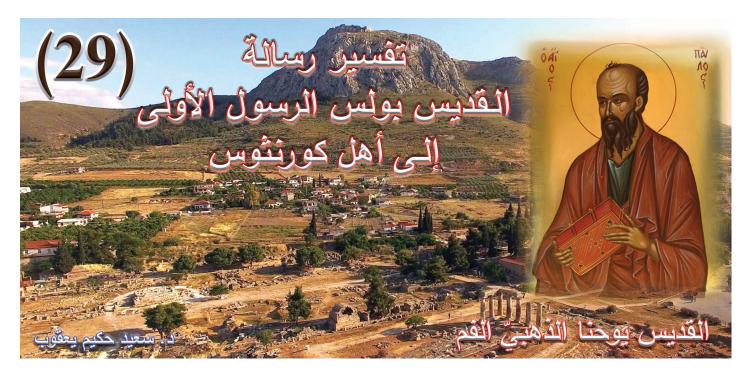
وبعد ثلاثة أشهر، وفي بداية الصيف كتَبَ نكتاريوس:

« إِنِّي بخير والحمدُ لله. لقد انتهت الامتحانات، وأَقتَرِح عَليكُنَّ أَن آتي لرؤيتِكُنَّ بعد أُسبوع إذا لم تستَبقني قضيَّة خالكيس لبضعة أيامٍ أُخرى؛ ولكنِّي أُبَشِّرُكُنَّ بأنَّ المجمع المقدَّس لا يُريدني في هذا المنصب، وأستنتج من هذا بأنَّما ليست مشيئة الرَّبِّ». (يتبع)

«وكما أن الأدوية والجراحة والمعالجة بالكَّ هِيَ للطبيب، كذلك التأديب هو لله. وكما تُستعمل النَّار كثيرًا للمعالجة بالكّ لمنع انتشار العدوى، وكما تزيل أداة صلبة اللحم المتعفن - مسببة ألمًا لكن مقدمة نفعًا - كذلك الجوع والمرض والتجارب الظاهرة الأخرى تستخدم على الروح بدلًا من النار والأداة الصلبة، لمنع انتشار المرض وَلِكَيْ تجعل الرُّوح أفضل».

القديس يوحنا الذهبي الفم - (عظة 5 على مثل الغني ولعازر)





تتمة من العدد السابق

الإصحاح الرابع العظة الثانية عَشَرةً: (١ كو ٤:٢-٩)

«فَهذَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ حَوَّلْتُهُ تَشْبِيهًا إِلَى نَفْسِي وَإِلَى أَبُلُّوسَ مِنْ أَجْلِكُمْ، لِكَيْ تَنَعَلَّمُوا فِينَا: «أَنْ لاَ تَفْتَكِرُوا فَوْقَ مَا هُو مَكْتُوبٌ»، كَيْ لاَ يَنْتَفِخَ لَكَيْ تَنَعَلَّمُوا فِينَا: «أَنْ لاَ تَفْتَكِرُوا فَوْقَ مَا هُو مَكْتُوبٌ»، كَيْ لاَ يَنْتَفِخَ أَحَدٌ لاَّجْلِ الْوَاحِدِ عَلَى الآخر.» (١ كو ٢:٤).

١ - كان ينبغي عند هذه النقطة، أنْ يستخدم عبارات ثقيلة، لكنه لم يكشف المشهد كله، بل تكلَّمَ كما لو كان هو نفسه الذي سمع بَعْدُه الأمور، وعليه فإنَّ مكانة الأشخاص المدانين، والمعترضين على المشتكين عليهم، لا تسمح بإثارة أيِّ نوع من الغضب، بسببِ هذه الاتمامات. ولكن نظرًا لأنَّه كان عليه بعد ذلك أن يُقدِّم الموضوع بكامله، عندئذ كشف هذا الأمر، ونزع القناع (عن المنتفحين)، وأشار إلى الأسماء المستترة، مستخدمًا أسم بولس، وأبولُس. ولذلك قال: «فَهذَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ حَوَّلْتُهُ تَشْبِيهًا إِلَى نَفْسِي وَإِلَى أَبُلُّوسَ». وكما في حالة المرضى، حين يدفع الطفل المريض، الطعام المقدّم له من الطبيب، ويحوِّل وجهه عنه، حينئذ يأتي المشرفون على رعاية الطفل ويأخذون الطعام من يدي الطبيب، ثمَّ يستدعون الأب أو المربِّي ويطلبون منه أن يُعطيه الطعام، حتى أنَّه بسبب الخوفِ من هؤلاء، يَقبل الطعام ويهدأ ويتعافى، هكذا الرسول بولس أيضًا، لأنَّه كان ينوي أن يوجِّه إدانةً من أجل الدفاع عن آخرين، والذين بسَبَيهِم ظُلِمَ آخرون أيضًا، والبعض تُحَرِّمَ بصُورةِ فاقت الحدَّ، إلَّا أنَّه لم يُشِر إلى هؤلاء الأشخاص، بل حوَّلَ الحديث إلى شخصه، وإلى أبولُس، حتى يقبلوا الشفاء بكلِّ احترام ووقار جُحاه شَخصيهِما. وبعدما قَبِلُوا هذا الشفاء، كشَفَ بعد ذلك، عن المعنيِّين بهذا الكلام.

هذا المسلك لم يَكُن بِأَيَّةِ حالٍ، يحمل أيَّ نوعٍ من التكلُّف أو التصنَنُّع. بل هو تعبير عن التسامح والتدبير، أي إنْ كان قد قال بوضوح إخَّم سيُدينون قدِّيسين ورجالًا مُبَارَكين، وإخَّم سيُواجهون

مصاعب بعد رحيلهم، إلَّا أنَّهُ يقول الآن: «وَأَمَّا أَنَا فَأَقَلُ شَيْءٍ عِنْدِي أَنْ غُكْكُمَ فِيَّ مِنْكُمْ» (١ كور ٤:٣)، وأيضًا: «فَمَنْ هُو بُولُسُ؟ وَمَنْ هُوَ أَبُلُّوسُ؟ » (١ كوره:٥). فقد جعل القبول للكلمة سَهلًا. ولذلك هُوَ أَبُلُّوسُ؟ » (١ كوره:٥). فقد جعل القبول للكلمة سَهلًا. ولذلك قال: «فَهذَا ... حَوَّلْتُهُ تَشْبِيهًا إِلَى نَفْسِي وَإِلَى أَبُلُوسَ مِنْ أَجْلِكُمْ، لَاكَيْ تَتَعَلَّمُوا فِينَا: «أَنْ لاَ تَفْتَكِرُوا فَوْقَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ» (١ كور لاكي تَتَعَلَّمُوا فِينَا: «أَنْ لاَ تَفْتَكِرُوا فَوْقَ مَا هُو مَكْتُوبٌ» (١ كور لاكي تَتَعَلَّمُوا فَيْكَ كَان قد تكلَّمَ عن أولئك (أي السالكين حسب الجسد)، ما كان لهم أَنْ يتعلَّموا كُلَّ ما ينبغي أَنْ يتعلَّموه، وما كان ليقبلوا أَنْ يتعلَّموا أو يُصلِحوا أنفسهم، لأخم لم يرفضوا الكلام الذي قيل؛ ولكن الآن بدافع من الاحترام والتوقير للرسول بولس، والذين معه، قبُلُوا اللّوم بسهولة.

وماذا يعني بقوله: «أَنْ لاَ تَفْتَكِرُوا فَوْقَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ» (١ كور ٦:٤)، المكتوب هو: « لِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأُمَّا الْحُشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلاَ تَفْطَنُ لَهَا؟» (لو ٢:١٤). وأيضًا: «لا تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُذَانُوا،» (مت ١:٧). لأنَّه إن كُنَّا نُشَكِّلُ معًا فكرًا واحدًا، ومترابطين فيما بيننا، فلا ينبغي أنْ يُهاجم الواحد الآخر، لأنَّ الكتاب يقول: «لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ». (لو ١١:١٤). وأيضًا: «وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ أَوَّلًا، يَكُونُ لِلْجَمِيع عَبْدًا.» (مر ١٠:٤٤). هذه هي الأقوال التي كُتِبَت: «كَيْ لاَ يَنْتَفِخَ أَحَدُ لأَجْل الْوَاحِدِ عَلَى الآخرِ.» (١ كور ٢:٤). ومرَّةً أُخرى بعدما ترك المعلِّمين، أخذ يلوم التلاميذ، لأنَّ هؤلاء التلاميذ، هم الذين رفعوا المعلِّمين وسَمَوْا بهم، حاصةً وأنَّ أصحاب السلطة، ما كان لهم أن يقبلوا هذا الكلام بسهولة، بسبب رغبتهم في المحد الدنيوي، لأغُّم حقًّا كانوا عُميانًا، بسببِ شهوة المجد الباطل. ولكن كُلّ من لم يحصلوا على الجحد أو لم يَسعَوا نحوه، بل قدَّموه لآخرين، فهؤلاء سوف يقبلون النصيحة بصورَةِ أسهل، وسيكونون أكثر فاعليَّة مِنَ الولاةِ في شفاء هذا لمرض.

وبناءً على ذلك فإنَّ ما يُظهر الأنتفاخ، هو أنْ يفتخر أحدٌ لأجلِ آخر، حتَّى وإن كان بعدُ لا يُعاني من هذا المرض فيما يتعلَّق بالأمورِ

الخاصَّة به. أي مثل ذلك الذي يفتخر بغني ليس له، فهو فعل هذا بأنتفاخ، هكذا مَنْ يفتخر لأجل مجدِ شخص آخر. وحسنًا يدعو هذا المسلك «إنتفاخ»، أي عندما يثور أحد الأعضاء، ستكون النتيجة ليست شيئًا آخرَ، سوى لهيب يشتعل ومرض، لأنَّه ليست هناك حالٌ أُخرى، يصير فيها عضو ما أعلى من عضو آخر، إلَّا حين يحدث كبرياء وانتفاخ. هكذا في جسد الكنيسة، فذاك الذي يحمل لهيبًا في داخله ويتكبَّر وينتفخ، فهذا يُعَدُّ مريضًا، لأنَّه ينتفخ ويُحطِّم التجانس القانوني لكلِّ الأعضاء، هذا هو معنى الكبرياء والانتفاخ. وهذا ينطبق على ما يحدث في الجسم، إذا ما دخلت مادة مغشوشة وخطيرة، وليس الطعام المعتاد. هكذا ينشأ ويولَد الإنتفاخ، لأنَّه يُدخِل فيه أفكارًا غريبة. ولاحظ كيف يقول على سبيل الحصر: «كَيْ لاَ يَنْتَفِخَ أَحَدٌ» (١ كور ٢:٤)، لأنَّ المنتفخ يكون ممتلئًا بحجم كبير من الهواء. يقول هذا الكلام، لا لأنَّهُ يستبعد الشفاء بشكلِ عام. بل يستبعد الشفاء الذي يأتي على حساب الإساءة للآخر. أهل تُريد أن تُقدِّم علاجًا لشخص ما؟ لن أمنعك، ولكن لا تفعل ذلك إذا ماكان فعلك هذا، سيتسبَّب في ضياع الآخر أو سيُكبِّده خسارة. لأنَّ المعلِّمين لم يُعطوا لنا التعليم، لكي نُقَسِّم ونُحُزِّب البعض ضدَّ الآخر، بل لكي نكون جميعًا مترابطين فيما بيننا بشِدَّةٍ. كذلك فإنَّ اختيار جنرالٍ ما، لكى يكون قائدًا للجيش، هدفه أنْ يجعل المقسّمين إلى أجزاء مُتّحدين في حسَدٍ واحد. ولكن إنّ كان ينتوي أنْ يُقَسِّم الجيش، عندئذ يكون في وضع العدو، أكثر منه قائدًا للجيش.

«لأَنَّهُ مَنْ يُمَيِّزُكَ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ لَكَ لَمْ تَأْخُذْهُ؟» (١ كور ٧:٤).

بعد ذلك، وبعدما ترك الخاصعين لحِكمِ الغير، أتَى للحُكَّام، وما يقوله يعني الآتي: ومن أين يتضح أنَّكَ تستحق المدح أو الثناء؟ هل حدثت إدانة؟ هل استمرَّ الاتختبار واستمرَّت المحنة. والإحساس بالألم الشديد، وَتَبْكِيت النفس عن الأعمال التي عملتها؟ لا تستطيع أن تَدِّعي ذلك. فإن كان هناك البعض ممن يُدينون، فالإدانة ليست قويَّة. لكن لنفرض أنَّكَ مُستحقِّ للمدح، وأنَّ لديك حقًّا الموهبة، وأنَّ لديك حقًّا الموهبة، وأنَّ هذه الإدانة لم تُفسِد الناس، فإنَّه ولا هكذا كان ينبغي أنْ تنتفخ، لأنَّ هذه الموهبة لم تنلها بإمكانياتك الخاصَّة، بل بمراحم الله. إذًا لماذا تفتخر بأنَّ لديكَ شيئًا، وهو ليسَ لكَ فهذا الشيء هو لكَ ولآخرينَ أيضًا معك. فالذي لكَ، لم يَكُن لكَ، بل هو هِبَةٌ من الله، ليس هذا الأمر معك. فالذي لكَ ما تملكه.

◄ هذه الأمور ليست إنجازات خاصَّة بك، بل تُنسَب إلى نعمة الله التي تعمل فيكَ. وإنْ تحدثت عن الإيمان، فهذا الإيمان الذي لكَ، هو بسبب الدعوة، وإن كنتَ تتكلَّم عن غفران الخطايا وعن المواهب وعن كلمة التعليم وعن القوَّات، فكُلُّ هذا قد نلته بالدعوة الإلهيَّة. أخبرني إذًا أيّ شيء تملكه، وقد أصبَحَ لكَ، دون أن تأخذه من الله، بل وأينَ حقَّقتَ أيَّ إنجاز بِقُدارتك الذاتيَّة؟. إنَّكَ لا تستطيع أنْ تُحيب. لكن إنْ كنتَ قد أخذت، فلماذا تفتخر؟ لأجلِ هذا تحديدًا، كان ينبغي أنْ تكون مُتضعًا، لأنَّ خُلُّ ما أخذته، ليسَ لكَ، بل هو لذاك الذي أعطاه. يمعنى إنْ كنتَ قد أخذت شيئًا، فإنَّكَ قد أخذته لذاك الذي أعطاه. يمعنى إنْ كنتَ قد أخذت شيئًا، فإنَّكَ قد أخذته للله الذي أعطاه. يمعنى إنْ كنتَ قد أخذت شيئًا، فإنَّكَ قد أخذته للله الذي أعطاه.

من الله. فلم تأخذ ممَّا لكَ. فإنْ كنتَ لم تأخذ ممَّا لكَ، فلماذا تفتخر كأنَّكَ لم تأخذ، بل تأخذ ممَّا لكَ؟ ولهذا أضافَ:

«وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَخَذْتَ، فَلِمَاذَا تَفْتَخِرُ كَأَنَّكَ لَمْ تَأْخُذْ؟» (١ كور ؟:٧).

هكذا يستخدم ويطرح تساؤلات مستمرَّة، مُبرهِنًا على أنَّ هؤلاء يعتاجون للكثيرِ بعد، ويُشَدِّد على أنَّه، وإنْ كانوا قد أخذوا كُلَّ شيء، فما كان ينبغي عليهم أنْ يفتخروا، لأنَّه لا شيء ممَّا أخذوه، هو خاصٌ بهم، لكن الآن لديهم نقائص كثيرة. وقد ألمَحَ إلى ذلك في البداية، عندما قال: «لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُكلِّمَكُمْ كَرُوحِيِّينَ» (١ كو٣: ١). وأيضًا: «لأَيِّ لَمُ أَعْرِفَ شَيْئًا بَيْنَكُمْ إلاَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا.» (١ كو٢:٢). لكنه الآن يحاول أنْ يُحرِّك فيهم إحساس الخجل، قائلًا:

« إِنَّكُمْ قَدْ شَبِعْتُمْ! قَدِ اسْتَغْنَيْتُمْ! مَلَكْتُمْ بِدُونِنَا! وَلَيْتَكُمْ مَلَكْتُمْ لِنَاكُمْ مَلَكْتُمْ لِنَالِكَ نَحْنُ أَيْضًا مَعَكُمْ!» (١ كور ٨:٤).

بمعنى أنَّه لا يوجد بعدُ أيّ نقائص لديكم، صِرتم كاملين، صِرتم في القمَّة، ليس لديكم احتياجٌ لأيِّ أحد، لا لِرُسل، ولا لمعلِّمين.

يقول: «إنَّكم (بالأكثر) قد شبعتم». وحسنًا استخدم كلمة: «بلِيُون» «كشون» وذلك الماضي، وأيضًا استخدامه لزمن الفعل الماضي، وذلك لكي يَصِف حالتهم: وافتخارهم المخالف للعقلِ والمنطق. ولأجلِ هذا فقد سَخَرَ من هؤلاء وقال، هكذا سريعًا وصلتم إلى النهاية، وهو الأمر الذي مِنَ المستحيل أنْ يحدث، بسببِ عامل الزمن، لأنَّ الأمور الأكثر كمالًا، تتَحقَّق في المستقبل. فإن يشبع أحدٌ بالقليل، فهذا يُعدُ سِمَةً لِنفسٍ ضعيفة، أي يعتقد أنَّهُ بالقليل، يصير غنيًّا، فهذا يُبرهن على نفس كريهة وبائسة. لأنَّ التقوى لا يُشبَع منها، وما يَدُلك على أنَّه فكرٌ طفولي، هو تصوُّرهم أنَّ بمجرَّد اكتسابهم الأشياء المبدئيَّة، يكونون قد حَصَلوا على كُلِّ شيء، حتى أخَّم يفتخرون بأخَّم وصلوا للنهاية، رغم أخَّم لازالوا في البداية.

ثُمَّ بَحَده يؤنِّبهم أكثر، فبعدما قال: «قَدْ شَبِعْتُمْ!» يُضيف: «قَدِ اسْتَغْنَيْتُمْ! مَلَكْتُمْ بِدُونِنَا! وَلَيْتَكُمْ مَلَكْتُمْ لِنَمْلِكَ كُنُ أَيْضًا مَعَكُمْ!». إنَّ الكلام هنا يبدو ثقيلًا جدَّا:، ولهذا فقد أضافه مؤخرًا، أي بعد التأنيب، هكذا تكون النصائح أكثر جِدِّيَّة، وقبولها أسهل، حين يتبع الإتهامات، كلامًا يحمل حياءً؛ وهذا الكلام قادرٌ حقًّا على أنْ يضبط النفس الوقحة، ويُصيبها أكثر بسبب الاتهام الواضح، وأيضًا يُعالج الألم والسفه النفسي، الذي قد تُثيره الإدانة. أي أنَّ الأمر المُدهِش في هذا الكلام، الذي يحمل الحياء، أنَّهُ ذي ميِّرتيْنِ مُتعارِضَتِيْنِ:

أ) إنَّهُ يُعَمِّق الجُرح وهذا - يظهر من خلال الإدانة الواضحة ب) ويجعل الشخص الخاضع للتأنيب، يتألمَّ بشِدَّةٍ للحالةِ التي وَصَلَ إليها.

يقول: «مَلَكْتُمُ بِدُونِنَا!». هنا يوجد تشديد في اللهجةِ تُجَاه المعلِّمين وتُجاه المعلِّمين وتُجاه التلاميذ أيضًا، حيثُ يبرهن على غيابِ ضميرهم، وحماقتهم الكبيرة. أي أنَّ ما يقوله يعني الآتي: من حيثُ الأتعاب، فهي مُشتركة

بين الجميع، بينا وبينكم، أمَّا بالنسبَةِ للمكافآت والتيجان، فأنتم أولًا، ولا يُضايقني أنْ أتحدَّث عنها. ولذلك أضاف: «وَلَيْتَكُمْ مَلَكْتُمْ». ولئلَّا يبدو أنَّ ما يقوله: هو بمثابَةِ إستهزاء بهم، أضاف: « لِنَمْلِكَ فَحْنُ أَيْضًا مَعَكُمْ!»، لأنَّنا سنتمَكَّن عندئذ نحنُ أيضًا أن ننال هذه الخيرات. أربيت كيف أنَّهُ يُظهر حدِّيته ورعايته الأبويَّة، وفي ذات الوقت رؤيته الذهنيَّة المملوءة حكمة؟ أرأيت كيف ينزع عنهم الإفتخار؟.

«فَإِنِّي أَرَى أَنَّ اللهَ أَبْرَزَنَا نَحْنُ الرُّسُلَ آخِرِينَ، كَأَنَّنَا مَحْكُومٌ عَلَيْنَا بِالْمَوْتِ. لِأَنَّنَا صِرْنَا مَنْظَرًا لِلْعَالَمِ، لِلْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ.» (١ كور ٩:٤).

مرَّةُ أُخرى يُعيد التأكيد على ما سَبَقَ وَطَرَحَهُ بتشديدٍ كبير، بأنْ يقول: «نحنُ»، ولم يَكتَفِ بهذا فقط، بل أضاف رتبة الرُسل، مُؤَنِّبًا هؤلاء بِشِدَّةٍ، إذ يقول «نَعْنُ الرُّسُلَ»، أي نحنُ الذين تحمَّلنا شرورًا لا حصرَ لها، نحن الذين بَذَرنا بِذَارَ كرازة التقوى، نحنُ الذين قُدناكم إلى هذه الحِكمة. أُبْرِزْنَا كآخر الناس، كأنَّنا محكومٌ علينا بالموتِ. ولأنَّهُ

قال: «لِنَمْلِكَ غَنْ أَيْضًا مَعَكُمْ!»، وحقّف بهذه العبارات من قسوة التأنيب، ولكي لا يجعلهم يفترون، يعودُ ويُكرِّر برارة أكثر، فيقول: «فَإِنِّ أَرَى أَنَّ اللهُ أَبْرَزَنَا خَنُ الرُّسُلَ آخِرِينَ، كَأَنَّنَا مَحْكُومٌ عَلَيْنَا لِالْمَوْتِ.». وكأنَّهُ يقول كما أرى، وكما تقولون أنتم، أنَّنا نحنُ المحتقرين والمحكوم علينا، فنحنُ دومًا مُحاصرون بالمتاعب، بينما أنتم تتصوَّرون أنَّكم مَلكتُم وأنَّكم مُكرَّمون وقد نلتم المُكافآت. لأنَّه أنتم تتصوَّرون أنَّكم مَلكتُم وأنَّكم مُكرَّمون وقد نلتم المُكافآت. لأنَّه كان يُريدُ بكلامه هذا، أنْ يُبَيِّن أنَّ الحالة التي كانوا يعيشونها، هي حالة مُخالفة للعقلِ والمنطق، وهي حالة غير منتظرة وغير مُحتملة على الإطلاق، فهو لم يَقُل فقط «آخرين»، بل قال: «أَنَّ اللهَ أَبْرَزَنَا خَنُ اللهَ أَبْرَزَنَا خَنُ اللهَ أَبْرَزَنَا خَنُ اللهَ أَبْرَزَنَا خَنُ والمِنْ بِهِ الأَمرُ، اللهَ هذا، إلى أصاف: «كَأَنَّنَا عَمْكُومٌ عَلَيْنَا اللهُ مُنَا لِمُ مسلك هؤلاء وأنَّ هذه الكلمات تأتي من قال هذا لِعَدَم تحمُّل مسلك هؤلاء وأنَّ هذه الكلمات تأتي من قال هذا لِعَدَم تحمُّل مسلك هؤلاء وأنَّ هذه الكلمات تأتي من قطل مُتَألِّم، مُتَضايق، ويُحاول بِكُلِّ الطُوقِ أن يجعلهم يخجلون.

(يتبع في العدد القادم)

أفرام، مطران طرابلُس والكورة وتوابعهما أنا حارس لأخي؟ (تكوين ع:٩) للروم الأرثوذكس – لبنان للروم الأرثوذكس – لبنان

«أخي هو حياتي»، هذا قول مشهور للقدِّيس سلوان الآثوسيّ، ويعني أنّ الآخر، قريبي، زميلي في العمل والأشخاص الذين ألتقي بهم جميعًا هم حياتي. فلنتأمَّل في هذه الكلمات، فبالرغم من أنَّ مجتمعنا يسير باتّجاه التركيز على الأنا (individualism) إلا أنّ إيماننا الأرثوذكسيّ عَمِلَ ويعمل دائما عكس هذا الأتجاه. فنحن المسيحيِّين نؤمن أنّ البشر مترابطون بعضهم ببعض بشكلٍ وثيق، وهذا الأمركان واضحًا في تعليم ربّنا وإلهنا يسوع المسيح، فهو القائل: «كنتُ جائعًا، كنت عطشان، كنت عريانًا، كنت مريضًا وفي السجن – كلّ ما فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء في فعلتم».

كما أنَّ هناك أمثالًا كثيرة في الكتاب المقدِّس أراد المسيح من خلالها الإشارة إلى هذا الأمر المهمّ أيْ، أنَّ راحة أخي وسعادته هما جزءٌ لا يتجزّأ من راحتي وسعادتي، لا بل حتى، إنَّ سعادة أخي وراحته على حساب راحتي وسعادتي هما ضمانة لسعادتي وراحتي الأبديَّتين.

مثل الغنيّ ولعازر واضح جدًّا من ناحية طرح هذا الأمر الأساس في نجاح حياتنا الروحِيَّة. فالغنيّ لم يلحظ وجود لعازر الفقير والمريض على باب بيته، تجاهَلَهُ بالكلِّيَّةِ. المسيح أدان الغنيّ وبارك لعازر، ولكن لماذا؟ من المؤكّد أنّ المسيح لم يُدن الغنيّ بسبب غناه، فالكنيسة لا ترى في الغني واقتناء الممتلكات خطيئة. بالرغم من هذا فالكتاب المقدّس يحذّرنا من خطورة أنْ يكون المرء غَنِيًّا. لماذا؟ لأنَّ الغني يحاول أنْ يجعلنا عبيدًا

له لكي نعتمد عليه وليس على الله. يمكن للغِنَى أَنْ يعمي قلوبنا وأَنْ يَعمي قلوبنا وأَنْ يَعمن الإحساس أمام تنهدات المحتاجين وحاجاهم إلى المعونة. يا إخوة إنّ الراحة والأمن الذاتيّ يجعلاننا نشعر بأنّنا لا نُقهر (بضمّ النّون) وهذا الأمر يجذّر فينا الغرور والكبرياء. فنبدأ بالظنّ أنّنا حصلنا على هذا الغِنى وهذه الأمبراطورية بواسطة قدراتنا الذاتية، الفكرية، الصحية ومؤهّلاتنا، ناسين أنّ «كُلّ عطيّة كاملة هي منحدرة من عند الله». لهذا، في معظم الأحيان، نخدع أنفسنا عندما نعتقد أنّ السعادة والأمان يأتيان بواسطة الغِنى. الغِنى والمال هما تجربة خطيرة، لأخمّما يحاولان أنْ يأخذا مكان الله ووصيّته في حياتنا. منذ بدء الزمان، سأل قايين الله «أأنا حارسٌ لأخي؟» أحاب الله بصراحة مطلقة: «نعم، كلّ منّا هو حارس لأخيه». فهذه مسؤوليّة عمليّة، مُلِحّة وضروريّة في حياتنا الروحيّة التي تكمل بواسطة الأعمال الحسنة حسب قول الرسول يعقوب في رسالته الجامعة، وهي مكمّلة لكُلّ ما هو نافع لنفوسنا.

فدَعُونا يا إخوة نتذكَّر دائما أنَّ إخوتنا هم حياتنا لأنهم صورة لإلهنا الذي أَحْيَانا ولا يزال يُحيينا، ودَعُونا نتشارك كلّ ما هو حسن مع الآخرين الذين هم صورة خالقنا، لكي يسمح لنا الرَّبُّ بالمشاركة في ملكوته السماويّ، لأنّنا، ببساطة، إنْ أحببنا أبناءه فبالتالي أحببناه بهم. وبدون حبّ ما يُرى لا يمكن حبّ ما لا يُرى على حسب قول القدّيس يوحنّا الإنجيليّ البشير. «الكرمة»، العدد ٤٨، الأحد ٢٩ ت٢ - ٢٠١٥

توزع هذه المجلة مجانًا

کفرکنا - الشارع الرئیسي - ص . ب . ٦١٩ e-mail: light_christ@yahoo.com http://lightchrist.org/bulletins.html

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:

IBAN: IL480127260000000111122

المحرر المسؤول: هشام خشيبون-سكرتير جمعية نور المسيح

عمعية نور المسيح